بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخرطوم

كلية الآداب ـ قسم التاريخ

المستوى الخامس

بحث تكميلي لنيل درجة بكالوريوس مرتبة الشرف

بعنـــوان:

معارضة الشيعة للخلافة العباسية

إعداد الطالبة:

عفاف عبد النبي علي المأمون

إشراف الدكتورة:

سلمى عمر السيد

2013م

76

الآية

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)

صدق الله العظيم
(الإسراء : 85)

الإهــداء

إلـــي كـــل مـــن أضـــاء بعلمـــه عقـــل غيــــره

أو هــــدى بـــالجواب الصـــحيح حيـــرة ســـائليه

فـــأظهر بســـماحته تواضـــع العلمـــــــــــاء

وبرحابتـــــــــــه سماحـــــــــــة العارفيـــــــن .

الشكر والتقدير

الشكر أولاً لله عز وجـــل

أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى جامعة الخرطوم كلية الآداب قســـم التـــاريخ، وأخص بالشكر الدكتورة سلمى عمر السيد وإلى مكتبة كلية الآداب ومكتبة السودان ومكتبة قسم التاريخ.

فهرس الموضوعات

المقدمة:

مرت الدولة العباسية بظروف صعبة، خاصة بعد وفاة الرشيد، وارتقاء ابنه المأمون الخلافة من بعده، وتمثلت في اضطرابات داخلية، والتي كانت حافزاً لبعض الحركات الشيعية المعارضة لحكم العباسيين وكانت تنوي التخلص من حكمهم، وتزامنت تلك الحركات المعادية مع الفتنة الشهيرة التي وقعت بين الخليفة المأمون وأخيه الأمين، التي انتهت بمقتل الأمين على يد المأمون، فثارت عليه العناصر العربية من العباسيين ثأراً للأمين، وأعقب ذلك قيام العديد من حركات المعارضة الشيعية المناوئة لحكم بني العباس آملة في التخلص منه إلا أن تلك الحركات منيت بالفشل الذريع بفضل قوة بني العباس وتمكنهم من السيطرة والقضاء عليها وإخمادها.

يتناول الفصل الأول من هذا البحث، الشيعة معنى ونشأة، بالإضافة إلى نظرية الإمامة التي وضعوها والقائمة على خمس أسس تمثل في مجملها العقيدة الإيمانية لدى الشيعة. ثم تطرق البحث للحديث عن الفكر الشيعي وبدايته مذهباً وحركة، والحوادث التاريخية المختلفة التي أثرت فيه ولعبت دوراً مهماً في تبلوره وتطوره ونتج عن ذلك انقسام فرقة الشيعة إلى فرق متعددة ومتنوعة. تعرض لها هذا الفصل بشيء من الإيجاز.

تطرق الفصل الثاني للحديث عن الخلافة العباسية وتعرض بتبسيط شديد لنهاية الدولة الأموية وعوامل سقوطها وكيفية قيام الخلافة العباسية على أنقاضها، التي تمثلت في دورين مهمين مرت بهما. هما الدعوة السرية والدعوة العلنية التي انتهت بإعلان العباسيين قيام دولتهم ومبايعة أبا العباس السفاح كأول خليفة عباسي.

أما الفصل الثالث والأخير فقد تناول بشيء من التفصيل حركات المعارضة الشيعية للدولة العباسية التي سعت لتقويض أركان الخلافة وإحداث البلبلة والفوضى فيها، وكان هدفها الرئيس التخلص من حكم بني العباس والقضاء على دولتهم بشكل نهائي.
لم تكن تلك الحركات المناوئة قليلة، إلا أن البحث اكتفى بذكر أربعة منها ليس لأهميتها عن غيرها من الحركات الأخرى. فجميع تلك الحركات المعارضة نجحت في إحداث اضطرابات في جسد الدولة العباسية وهددت استقرارها وإن كان ذلك لفترة مؤقتة، لكن اقتصر الذكر على هذه الحركات الأربع، لأن بعضها اتسم بالغموض وعدم خلوص النوايا واستغلال الظروف السائدة وقتذاك لتحقيق بعض المصالح، إلا أن جميع تلك الحركات لم تنجح في تحقيق مساعيها والنتيجة الحتمية لها الفشل الذريع، بسبب يقظة خلفاء بني العباس وإحكام قبضتهم على الدولة وسرعة تحركهم في التخلص من هذه المعارضات نهائياً.
وهذه المعارضات هي:
معارضة محمد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكانت في عهد المأمون أيضاً، ومعارضة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأبي عبد الله أخ أبي السرايا كذلك في عهد المأمون، وأخيراً معارضة محمد بن القاسم وكانت هذه في عهد المعتصم.
أما خاتمة البحث حوت عرضاً موجزاً لبعض النتائج التي توصلت إليه الباحثة من خلال الدراسة ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

الفصل الأول

أولاً: نشأة الشيعة

ثانياً: نظرية الإمامية عند الشيعة

ثالثاً: تطور الفكر الشيعي

الفصل الأول

أولاً: نشأة الشيعة

معنى الشيعة:

الشيعة لغة: تعني القوم والصحب والأتباع[1]. ويقال شيعة فلان أي أصحابه وأتباعه[2].

واصطلاحاً: الفرقة والجماعة[3]. ويقال شايع فلاناً أي تابعه وسار على طريقه وذهب مذهبه[4].

وقد ورد لفظ الشيعة في القرآن الكريم، في مواضع عديدة منها قوله عز وجل "وإن من شيعته لإبراهيم"[5]. وقوله عز وجل "ثم لننزعن من كل شيعةٍ أيهم أشد على الرحمن عتيا"[6].

أما الشيعة فهي فرقة كبيرة من المسلمين اجتمعوا على حب علي وآله[7]. والولاء المطلق لهم والإيمان بأن الإمامة في السلطتين الزمنية والدينية يجب أن تكون قاصرة على الإمام علي وذريته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[8]، فقد رأى هؤلاء أن آل البيت أحق الناس بالإمامة. وآل البيت هم العباس عم النبي صلى الله

1- أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، ج1، بيروت، 1955ك/ ص188.

2- أحمد أمين، فجر الإسلام، ط2، 1933م، ص267.

3- إبراهيم مدكور وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ط2، دار المعارف، د.ت، ص503.

4- نفسه.

5- سورة الصافات الآية 83.

6- سورة مريم الآية 69.

7- إبراهيم مدكور وآخرون، المرجع السابق ، ص503

8- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكري الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1976م، ص125.

عليه وسلم، وعلي أحق بالخلافة من العباس. لكن العباس لم ينازع علياً في أحقيته بالخلافة[1].

وفي ذلك يقول الشهرستاني: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عليه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فظلم من غيره أو تقيه[2].

لذلك أطلق هذا الاسم أي الشيعة على كل من أثبت ولاءه لعلي وآله بيته لذلك انفردوا باسم الشيعة فإذا كان المرء من الشيعة ومن مذهبهم قيل فلان من الشيعة[3].

أما الشيعة في نظر الفقهاء والمتكلمين والباحثين فتطلق على كل من يزعم أنه يدين بالولاء لآل النبي صلى الله عليه وسلم ويدين بالولاء للإمام علي بن أبي طالب وذريته من بعده وقد انحصر هذا الاسم على هذه الفرقة من فرق المسلمين التي زعمت أنها انفردت بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته على وذريته من بعده[4].

وفي ذلك يقول ابن خلدون "أن مبدأ الشيعة أن أهل البيت لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش وفي الصحيح أن العباس قال لعلي في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

1- أحمد أمين، فجر الإسلام، المرجع السابق ، ص267.

2- الموسوعة العربية العالمية – الشيعة – ط1، م2/ الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 1996م، ص299.

3- محمود محمد مزروعة، تاريخ الفرق الإسلامية، القاهرة، 1991م، ص202.

4- نفسه

الذي توفي فيه أذهب بنا نسأله فيمن هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال له علي أن منعناها لا يعطيناها الناس بعده[1].

كما يقول أيضاً "ذهب كثير من الشيعة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى ذلك في مرضه لعلي ولم يصح ذلك من وجهٍ يقول عليه وقد أنكرت هذه الوصية عائشة وكفى بإنكارها وبقي ذلك معروفاً من أهل البيت وأشياعهم"[2].

ثانياً: نظرية الإمامة عند الشيعة:

تقوم العقيدة الإيمانية للشيعة على خمس أسس، تمثل أصول العقيدة عند الشيعة، وهي بذلك تلتقي مع عقيدة أهل السنة في بعض الأسس وتختلف عنها في البعض الآخر.

وهذه الأسس هي:

أولاً: التوحيد

ثانياً: النبوة

ثالثاً: الإمامة

رابعاً: العدل

خامساً: المعاد

الأس الأول: التوحيد:

هو الأساس الأول من أسس العقيدة عند الشيعة وهو المقابل للأصل الأول عند أهل السنة وهو الإيمان بالله.

1- عبد الرحمن محمد بن الحضرمي المغربي ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ أو الخبر، م3، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1979م،ص170.171

والتوحيد عند الشيعة أربع مراتب هي: توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد الآثار.ومن أهم أقوالهم أن المرتبة الأولى(توحيد الذات) دلالتها (لا إله إلا الله) وأما الثانية (توحيد الصفات) فدلالتها (لا هو إلا هو) أما المرتبة الثالثة (توحيد الأفعال) فدلالتها (لا حول ولا قوة إلا بالله) أما المرتبة الرابعة (توحيد الآثار) فدلالتها (لا مؤثر في الوجود إلا الله)[1].

زعم أن الشيعة دون سائرهم هم الذين يجمعون التوحيد في هذه المراتب الأربعة وهم بذلك يختلفون عن طوائف المسلمين فمنهم من يقف عند الدرجة الأولى ومنهم من يتعدَّ الدرجة الثانية لكنه لا يحصل على المرتبين الثالثة والرابعة سوى الشيعة[2].

يؤمن الشيعة بالقضاء والقدر بمعنى أن، الله قد قضى وقدر كل شيْ أزلاً لكنهم مع ذلك يؤمنون بأنه تعالى عز وجل يغير من قضائه حسبما يبدو له لذا فهم، يضيفون إلى الإيمان بالقضاء والقدر الإيمان بالبُداء ويعنون بذلك أن الله تعالى يغير من قدره حسبما يبدو له تحت اعتبارات الظروف والأحوال وقد انفردوا عن أهل السنة بتلك العقائد[3].

الأس الثاني: النبوة:

في اعتقاد الشيعة أن النبوة وظيفة ربانية وتفويض إلهي يضعها الله تعالى بين يدي إنسانٍ معين من الخلق يعده الله سبحانه وتعالى لهذه المهمة إعداداً خاصاً ويهبه ملكات وقوى نفسية وجسدية تؤهله لأداء مهمته، ويرى الشيعة أن الأنبياء أكثر عدداً

---

(1) مزروعة، المرجع السابق ، ص215.

(2) نفسه.

(3) ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 173.

من الرسل فالنبي أعم، أما الرسول أخص، ذلك أن الرسول في اعتقادهم صاحب شريعة، والنبي تابع له في ذلك، وفي معتقدات الشيعة أن الأنبياء معصومون عصمة تامة عن الصغائر والكبائر والسهو النسيان قبل البعثة وبعدها.

الأس الثالث: الإمامة:

يرى الشيعة أن الإمامة ليست قضية مصلحيه أو من مصالح[1] العامة التي تفوض إلى نظر الأمة فتعين الأمة من يقوم بها، بل هي قضية أصولية وركن من أركان الدين وقاعدة من قواعد الإسلام وأصل الدين والدنيا، ومنصب إلهي لا يتم باختيار الأمة وتفويضها ولكنه يتم باختيار الله سبحانه وتعالى فالإمامة في اعتقادهم هي وراثة النبوة والإمام هو وريث النبي، فعلياً هو الإمام بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يتسلسل الأئمة بترتيب من عند الله والاعتراف بالإمام والطاعة له جزءٌ من الإيمان دونما اعتراض[2] وهو يظل إماماً طوال حياته ولا يبرح منصبه لسبب من الأسباب وهو ليس مسئولاً أمام الناس وهو معصوم عن الخطأ لذلك وجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله خيراً لا شر فيه لأن عنده من العلم ما ليس لسواه به، هكذا زعموا.

في اعتقاد الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بأن يكون علياً رضي الله عنه، خليفة عنه، ومن ثم ذهبت الشيعة إلى أن الخلافة تكون فيه وفي أولاده بالوصية[3].

---

1 – الموسوعة العربية العالمية – الشيعة، مرجع سابق، ص300.

2–أحمد أمين، فجر الإسلام، ص271.

3– الموسوعة العربية العالمية، الشيعة، مرجع سابق، ص301.

ومن هنا نشأت فكرة الوصية، ولقب علي بالوصي فكان وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي أوصى لمن بعده، وهكذا كل إمام وصي من قبله، وشاعت كلمة الوصي بين الشيعة واستعملوها[1].

الإمام في نظر الشيعة ليس كما ينظر إليه أهل السنة فعند أهل السنة الإمام أو الخليفة نائب عن صاحب الشريعة في حفظ الدين فهو يحمل الناس على العمل بما أمر الله، وهو رئيس السلطة القضائية والإدارية والحربية ولكن ليست لديه سلطة تشريعية، إلا فيما يخص التفسير والاجتهاد في بعض المسائل المتعلقة بها. أما عند الشيعة للإمام معنى آخر.. هو أنه أكبر معلم، فالإمام الأول هو وريث علوم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبذلك فهو ليس شخصاً "عادياً" لأنه معصوم من الخطأ حسب زعمهم.

المتأمل إلى الشيعة وتعاليمهم فيما يخص مسألة الإمامة ونظرتهم لها يجد أن عقيدتهم هذه تشل العقائد وتصلب الفكر كما أنها تعطي الإمام سلطة مطلقة لا حدود لها فيفعل ما يشاء دونما اعتراض أو حساب من أحد لأن العدل في اعتقادهم هو ما يجئْ به الإمام من أفعال، وهي نظرة لا تمت إلى ديمقراطية الإسلام الصحيحة بصلة التي تجعل الخليفة خادماً للأمة، فالذي لا يرعى مصالحهم غير جدير بالبقاء في منصبه.

للشيعة تعاليم مهمة وثيقة الصلة بالإمامة وهي الآتية:

1/ العصمة   2/ التقية

3/ المهدية   4/ الرجعة

---

[1]– أحمد أمين، المرجع السابق ، ص271.

1/**العصمة**: يذهب الشيعة إلى أن الأئمة كالأنبياء معصومون في كل حياتهم من الصغائر والكبائر في أقوالهم وأفعالهم، ولا يجوز عليهم الخطأ أو النسيان. ولأن الإمام هو حافظ الشريعة فيجب أن يكون مبراً من الرذائل والفواحش حتى يؤمن على حفظها منذ ميلاده إلى وفاته[1].

2/ **التقية**: يراد بها اتخاذ الحيطة والحذر صيانة للدين أو النفس أو المال أو العقل أو العرض، وذلك بأن يظهر الإنسان خلاف ما يضمر إذا اجتمع بمعارضيه في المعتقد فعليه التظاهر بالإذعان والموافقة وأتباع ما عليه الجميع من المنهج حتى لا يتضح أمره فيتعرض للأذى.

وقد اعتبر كثير من الشيعة التقية مبدأ أساسياً في حياتهم العامة قولهم: "إن تسعة أعشار الدين في التقية" وقولهم "لا دين لمن لا تقية له" وقولهم كذلك "التقية ديني ودين آبائي".

استخدم الشيعة هذا المبدأ لتفسير أحداث تاريخهم، فعلي لم يبايع أبا بكر إلا من باب التقية – كما يعتقدون – والحسن ابن علي تنازل لمعاوية من باب التقية وحقن دماء المسلمين. وقد مثلت التقية نظاماً سرياً يلجأ إليه الشيعة خلال حروبهم أو ثوراتهم ويسوقون دليلاً على التقية قوله تعالى "إلا أن تتقوا منهم تقاة"[2].

3/**المهدية**: كلمة المهدي اسم مفعول من الفعل هدى، يقال هداه الله الطريق أي عرفه ودله عليه وبينه له فهو مهدي.[3]

---

1 – الموسوعة العربية العالمية ، الشيعة، مرجع سابق، ص305.

(2) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، القاهرة، 1964م، ص219.

(3) نفسه.

تبنى الشيعة فكرة المهدية ونسبوها إلى أئمتهم، والمهدية إشارة إلى إمام يأتي في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا. ويعتقد أهل السنة أن المهدي رجل مصلح يخرج في آخر الزمان على عهد فتن واضطراب. لكن الشيعة الإثنا عشرية يعتقدون أن المهدي هو آخر أئمتهم وأسندوا المهدية إلى(محمد بن الحسن العسكري)، الذي يقولون إنه دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء في العراق، وغاب غيبتين، غيبة صغرى عام 255-260هـ، وغيبة كبرى عام 265هـ،وهم ينتظرون خروجه إلى الآن[1].

بينما ينسب الشيعة الكيسانية المهدية إلى إمامهم محمد بن الحنفية هو المهدي وأنه غائب بجبل رضوى (وهو جبل بالمدينة المنورة من ينبع) حتى يحين زمان خروجه، أما الشيعة الإسماعيلية فقد نسبوها إلى عبيد الله المهدي الذي قامت على يده الدولة الفاطمية.

4/ الرجعة:

تتصل بعقيدة المهدي عقيدة الرجعة، والمراد بها رجعة الأئمة، ويريد أتباع هذا المذهب بذلك عودة الإمام بعد الغيبة أو إلى الحياة بعد الموت. وذهب بعضهم إلى القول برجعة الأئمة وأنصارهم وأعدائهم ليقتص من هؤلاء لأولئك. بينما يذهب آخرون إلى تفسير الرجعة بمعنى ظهور الدولة الشيعية وحاكمها الإمام. وقد ربط الشيعة إقامة الدين وأحكامه وشرائعه برجعة الإمام. ولكن في العصور المتأخرة يغلب الرأي الذي يدعو إلى ولاية الفقيه التي تنص على أن الفقهاء يتولون أمر الحكم نيابة عن الإمام في غيبته، وينفذون الأحكام إلى حين ظهوره، والإثنا عشرية جميعا

1- الموسوعة العربية العالمية – الأمامية الإثنا عشرية، م2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996م، ص662.

يقولون بعودة الإمام المنتظر أو الإمام الغائب (المهدي)، الذي يقيم دولة الإسلام كاملة كما يزعمون.

الأس الرابع: العدل:

العدل هو الركن الرابع من أركان العقيدة الإيمانية لدى الشيعة وعقيدة الشيعة في العدل تدل على الصلة الوثيقة بين الشيعة والمعتزلة في العقائد[1].

يتمحور حول أس العدل أمور عقائدية شتى منها إرسال الله عز وجل الرسل والنص على الأئمة وفعل الصلاح والأصلح لعباده واللطف بهم، والتعويض لهم عما يلقونه من الآلام، وإثابة المطيع وعقوبة العاصي.

الأس الخامس المعاد:

هو الأصل الخامس من أصول العقيدة عند الشيعة ويراد به أنه يجب على المسلم الاعتقاد بأنه سبحانه وتعالى سوف ينشر الأجساد بعد فنائها وتفريق أجزائها ثم يعيد لكل جسدٍ نفسه التي فارقته عند الموت في الدنيا وذلك سيكون عند قيام الساعة ومكانها، وأن يكون ذلك في مكانٍ يسع الخلائق جميعاً، ويحشدون فيه على صورة معينة، فليس المعاد العودة إلى حياة بعد الموت، ولكنه عودة علي هيئات زمانيةٍ ومكانيةٍ معينة.

يؤمن الشيعة بالمعاد كما يؤمن به أهل السنة فيثبتون أن المعاد للنفس والبدن معاً[2].

---

[1]- أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، القاهرة، 2000، ص142.

[2]- مزروعة، المرجع السابق ، ص259.

ثالثاً: تطور الفكر الشيعي:

تعددت الآراء حول بداية التشيع مذهباً وحركة واختلف المؤرخون حول نشأة الشيعة وأسباب ظهورها والأسس والمبادئ التي قامت عليها.

فقد زعم الشيعة أنهم يرجعون بمذهبهم إلى بدايات الإسلام وقد تباينت آراء مؤرخيهم فمنهم من يرجع ظهور هذا المذهب إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كظاهرة دينية تنبع من محبة وولاء للنبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته[1]، وهناك من يرجعه إلى الفترة التي تلت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، واختلف الناس حول خلافته في مؤتمر سقفية بني ساعدة حيث نادت مجموعة بضرورة ترشيح علي رضي الله عنه للخلافة وهناك من يعود به إلى عهد عثمان رضي الله عنه أو بعد مقتله.

ومنهم من يعود به إلى عهد علي رضي الله عنه، ومعركة صفين بصفة خاصة وهناك من يرجح ظهوره بعد موقعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[2]. حيث ارتأي أنصاره أنهم عاجزون عن مجابهة سلطة بني أمية فتحولت المعارضة السياسية إلى معارضة ذات فكر ورؤى فالتقت المبادئ الدينية بالمبادئ السياسية وانصهرت جميعها في بوتقة واحدة مع غلبة الطابع الديني[3]، فقد كان مقتل الحسين بن علي في كربلاء هو القشة التي قصمت ظهر البعير والذي أدى إلى تشكل جماعة الشيعة وظهورها كفرقة انفردت بأسس في أفكار متميزة، ولكن فكرة التشيع لم تتطور إلا في نهاية القرن الأول للهجرة خاصة بعد تبلور نظرية

1- ابو ريان، مرجع سابق، ص126-127.

2- الموسوعة العربية العالمية، الشيعة، المرجع السابق، ص307.

3- سميرة مختار الليثي، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، بيروت، 1976م، ص27.

النص والإمامة والتعيين وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من أصول الشيعة التي تتصدر مذهبهم[1].

كان للأحداث التاريخية التي شهدتها الساحة الإسلامية دوراً كبيراً في تطور الفكر الشيعي والتي تمثلت في الصراع الذين احتدم بين فئتين من المسلمين في موقعة الجمل 36هـ إثر مقتل عثمان بن عفان الفئة الأولى بقيادة علي بن أبي طالب، والفئة الثانية بقيادة أم المؤمنين عائشة وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضي الله عنهم أجمعين[2].

كما أعقبت موقعة الجمل الآنفة الذكر، موقعة صفين عام 37هـ التي دارت بين أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان الذي جاهر بدم عثمان رضي الله عنه. واتفاق الطرفين على التحكيم وظهور طائفة الخوارج أو المحدودية والتي تمكن أحد رجالها من قتل علي غدراً في عام 40هـ. وأخيراً موقعة كربلاء عام 61هـ والتي دارت أحداثها بين جند والي الكوفة من قبل الدولة الأموية والحسين بن علي بن أبي طالب الذي رفض مبايعة يزيد بن معاوية واشترك مع الحسين جماعة من شيعته وأهل بيته، واستشهد في تلك الموقعة الحسين ومن معه[3].

تركت هذه الواقعة أثرها في نفوس الشيعة وأذكت روح العداء ضد الأمويين وساعدت في القضاء على دولتهم بأيدي العباسيين ومناصريهم.

1- أبو ريان، المرجع السابق ،ص128.

2- الموسوعة العربية العالمية – موقعة الجمل، م8، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 1996م، ص455.

3- الموسوعة العربية العالمية – موقعة كربلاء، ط1، م19، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية،، 1996م، ص164.

إذاً يمكن القول إن فكر الشيعة تأثر بمجمل من الحوادث التاريخية المتنوعة، من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبشكل خاص إبان العصرين الأموي والعباسي حيث هيمنت على حياة المسلمين ظروفاً وأوضاعاً سياسية ناتجة عن موقف الشيعة الرافض للخلفاء الذين كانوا في نظرهم مغتصبين للخلافة خاصة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم[1].

بسبب تلك الأحداث التي مرت بها الساحة الإسلامية إبان تلك الفترة فقد انقسمت فرقة الشيعة إلى عدد كبير من الفرق وتعددت وتنوعت ولعب بعضها دوراً بارزاً في مسرح التاريخ الإسلامي.

أهم فرق الشيعة:

اتخذت حركة الشيعة اتجاهاً ومساراً للتفرق منها ما اتصف بالاعتدال ومنها من جنح إلى غلو والتشدد ولكنها كلها اجتمعت على شيء واحد ألا وهو حصر الإمامة على أفراد البيت الواحد أي آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قسم الشهرستاني الشيعة إلى خمس فرق رئيسة: الزيدية، الإمامية الإثنا عشر ثم الإسماعيلية ثم الكيسانية وغلاة الشيعة. وقد تفرع من هذه الفرق الرئيسة فرق فرعية كثيرة وقد استقوا آراؤهم من مصادر غير إسلامية[2].

أهم فرق الشيعة:

1/ غلاة الشيعة:

وهم الذين غالوا في علي، وقالوا فيه قولاً كبيراً، كما أنهم غالوا في حق أئمتهم حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية وقد حاكوا في أفكارهم تلك مذاهب اليهود

1- ابو ريان، مرجع سابق، ص128.

2- نفسه.

والنصارى كالسبئية نسبة إلى ابن سبأ الذي نشر مذهب الوصاية والذي أخذه عن اليهودية دينه القديم. ومن المذاهب الأخرى نذكر الغرابية والبيانية والمغيرية واليونسية وغيرهم[1].

إلا أن هذه الفرق المغالية لم تكن تهدف إلا لهدم العقيدة الإسلامية وإبطال الشريعة متخذة من التشيع والولاء لآل البيت ستاراً لحجب أفكارها الهدامة وعقائدها المنحرفة التي لا تمت إلى الدين الإسلامي بسبب[2].

2/ الزيدية:

طائفة إسلامية تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين وهي من أكثر الفرق أو الطوائف اعتدالاً، وتتفق الزيدية مع الإثنا عشرية في ترتيب الأئمة حتى الإمام علي زين العابدين، ولكنها تقول بإمامة زيد بدلاً من محمد الباقر كما تختلف معها حول مفهوم الإمام ووظيفته[3].

تقول الزيدية بوجوب الإمامة كالإثنا عشرية، ولكنها تذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أوصى للإمام لم يعينه بالاسم، بل عرفه بالوصف، وأن الأوصاف التي ذكرت لم تكتمل في أحد، اكتمالها في علي، ولهذا ينبغي أن يكون الإمام علي الخليفة بعد الرسول، وحددت الزيدية للإمام شروطاً معينة: أن يكون هاشمياً ورعاً تقياً عالماً سخياً وأن يخرج داعياً لنفسه واشترطوا، بعد علي أن يكون الإمام فاطمياً،

1- أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين وإخلاف المصلين، القاهرة، 1950، ص66-48.

2- نفسه.

3- الموسوعة العربية العالمية – الزيدية، ط1، م11، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية،، 1996م، 691 690.

أي من ذرية فاطمة رضي الله عنها سواءً أكانوا من ذرية الحسن أم كانوا من ذرية الحسين[1].

جوزت الزيدية إمامة الفاضل مع وجود الأفضل. وعلى هذا فإن إمامة أبي بكر وعمر وعثمان حسب اعتقادهم جائزة مع وجود علي ذلك لأن تلك الصفات التي يجب توافرها في الإمام هي صفات الإمام الكامل، والذي هو أولى بالإمامة من غيره، فإن اختارت الأمة إماماً لم يستوف بعض هذه الصفات وبايعته صحت إمامته ولزمت بيعته. وأنكرت الزيدية ما ذهبت إليه الإثنا عشرية من القول بعصمة الأئمة والرجعة والتقية.

أشار الباحثون إلى أن حركة الإمام زيد بن علي في الكوفة لم تكن حركة شيعية بحتة، بل كانت حركة تهدف إلى الخروج على إمام ظالم. وامتازت دعوة زيد إلى الرجوع للكتاب والسنة وإحياء العقيدة والتخلص من البدع والتركيز على قضايا التوحيد والعدل والوعد والوعيد ويتركز أتباع المذهب الزيدي في اليمن معقل الزيدية ومركز تقلهم[2].

3/ الإمامية الإثنا عشرية:

طائفة من الشيعة تعتقد أن هناك إثنا عشر إماماً معصومين وتتوفر فيهم شروط خاصة تتولى الإمامة وهم أحق بالإمامة من غيرهم ويقدمون لذلك أحاديث وقرائن وأدلة فيها كثير من الوضع والتأويل على مقتضى مذهبهم كما قال بذلك كثير من العلماء والسنة[3].

1- الموسوعة العربية العالمية ، المرجع السابق ، ص 690

2- الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق،ص691

3- نفسه.

تلتقي الشيعة جميعاً حول قضية الإمامة ولكنهم يختلفون بعد ذلك في عدد الأئمة وترتيب الأئمة عندهم على النحو الآتي:

1. علي بن أبي طالب (23ق.هـ- 40هـ)
2. الحسن بن علي (3 – 50هـ)
3. الحسين بن علي (4 – 61هـ)
4. علي زين العابدين بن الحسين (38 – 95هـ)
5. محمد الباقر بن علي (57-114هـ)
6. جعفر الصادق بن محمد (83-148هـ)
7. موسى الكاظم بن جعفر (128-183هـ)
8. محمد الجواد بن علي (295-220هـ)
9. علي الهادي بن محمد (212-254هـ)
10. الحسن العسكري بن علي (232-260هـ)
11. محمد المهدي بن الحسن (256 – ....)

يزعم الإمامية الإثنا عشرية أن الإمام الثاني عشر محمد المهدي دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء وغاب غيبة صغرى وأن غيبته الكبرى بدأت ولم تنته حتى الآن وأنه سيعود في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[1].

من أهم القضايا التي ركزت عليها الإمامية الإثنا عشرية هي (الإمامة)، وتدور حولها جميع تعاليمهم. وهم يذهبون إلى أن الإمام، بعد النبي صلى الله عليه وسلم هو علي وانه نال هذه المنزلة بإشارة القرآن إليه وتعيين رسول الله له.

[1]- أحمد أمين، مرجع سابق، ج3، ص213.

وهو بدوره يعين من بعده بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم ويسمون الأوصياء. ويرون أن الأئمة هم علي وأبناؤه من فاطمة، واحداً بعد واحد، وفقاً للترتيب الآنف الذكر. ويذهبون إلى أن معرفة الإمام أصل من أصول الإيمان، وقد دافعوا عن هذا المعتقد وساقوا الأدلة لإثباته.

تدور معظم تعاليم الشيعة الإمامية حول الإمامة وما يتصل بها من مسائل مثل المهدية والتقية والرجعة وعصمة الأئمة، وأراد بعضهم تأكيد هذه المعتقدات للطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وإلى الطعن في القرآن الكريم أحيانا وفي السنة أحياناً أخرى وسعوا إلى تجريح الصحابة ليتأكدوا أن الإمامة لسيدنا علي وذريته من بعده وأن لهم صفات خاصة تفردوا بها دون غيرهم من المسلمين[1].

4/ الإسماعيلية:

فرقة دينية ظهرت امتداداً لحركات شيعية نشأت في القرن الثاني الهجري، تنسب الإسماعيلية إلى إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق[2].

تفرعت هذه الطائفة من الإمامة الإثنا عشرية بعد موت جعفر إذ لم تعترف طائفة من الشيعة عرفت باسم (الخطابية) بإمامة موسى الكاظم الإمام السابع عند الإثنا عشر. ونادوا بدلاً من ذلك بإمامة إسماعيل وابنه محمد. وتعرف الإسماعيلية أيضاً باسم (الباطنية) لقوهم: إن للنصوص الشرعية ظاهراً وباطناً.

ربط الإسماعيلية عقيدتهم بنظرية الإمامة لدى الشيعة وعمقت بين مفهوم (الظاهر والباطن) واعتقد بعض أتباعها أن أئمتهم مخصصون بمعرفة تأويل النصوص الشرعية ومعرفة بواطنها، وأن الأنبياء يعرفون التنزيل واستخدموا هذا المنهج لإخراج بعض نصوص الشرع من معانيها الظاهرة، فقاموا بتأويل العقائد والأحكام الشرعية من صلاةٍ وصومٍ وزكاةٍ وأعطوها مفاهيم خاصة.

1- الموسوعة العربية العالمية – الإسماعيلية، المرجع السابق ، ص75.

2- نفسه.

الفصل الثاني

قيام الخلافة العباسية

تمهيد: نهاية الدولة الأموية

أولاً: الدعوة السرية

ثانياً: الدعوة العلنية

نهاية الدولة الأموية

تمهيد:

استولى الأمويون على الخلافة بالشدة والمنعة والقوة، لا عن رضا ومشورة وانتخاب[1]، وواجهت الدولة الأموية منذ تأسيسها وحتى آخر يوم في حياتها ظروفاً سياسية صعبة، كما أن أسباب قيامها غير الاعتيادية، وانعدام الرؤية الواضحة لدى القائمين على شؤونها في مسألة الخلافة، وقسوة بعض الولاة، وسوء تقديرهم، للتباينات والمتغيرات الاجتماعية أسهم في اتخاذ بعض الجماعات مواقف معادية لهذه الدولة[2].

حاول عدد كبير من الباحثين دراسة أسباب نهاية الدولة الأموية، ونظراً لكثرة الروايات التاريخية المتضاربة التي تزخر بها المصادر فقد تنوعت الأسباب التي توصلوا إليها، وتباينت ردود فعلهم حيالها. وقدتوصلوا إلى جملة من الأسباب من ضمنها ما يلي:

تعيين الأقرب نسبا للخليفة في ولاية العهد دون غيره من بني أمية، حتى وإن كان ذلك الغير هم الأفضل، ولعل ذلك جاء نتيجة العاطفة الأموية، فقد سعى معاوية، رضى الله عنه، إلى أخذ البيعة لأبنه يزيد، دفعا لفتنة محتملة. وقد أصبح هذا النهج سنة متبعة عنه كل خلفاء بني أمية. وقد تمثل ذلك في رد معاوية على الذين تساءلوا عن فكرته في حصر الخلافة في ابنه يزيد وحرمان آخرين منها، إذ قال لهم "ابني أحب إلي من أبناءهم"[3].

---

[1]– محمد الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية/ الدولة الاموية، دار الكتب العالمية، بيروت، 1998م، ص452.

[2]– عمر سليمان العقيلي، تاريخ الدولة الأموية، ط1، الرياض، 2002م، ص249.

[3]– نفسه.

كذلك عبد الملك بن مروان الذي بلغ من شدة إيثاره لولده الوليد، أن حاول عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية العهد، وقتل ابن عمه عمرو بن سعيد بن العاص. وأما يزيد بن عبد الملك فقد كان جوابه للذين سألوه "أيهما يفضل أن يلي الأمر بعده: إبنه أم أخوه؟" فقال: إن لم تكن في ولدي فأخي أحق بها من ابن أخي"[1].

فقد أدت استمرارية التنافس بين أبناء البيت الأموي للفوز بمنصب الخلافة إلى وقوع النزاعات فيما بينهم.

من بين الأسباب الأخرى كذلك العصبية القبيلة التي أطلت برأسها في عهد الأمويين، نتيجة لسياسة بعض الامويين التي قامت على تفضيل قبائل دون الأخرى وقامت بسبب ذلك بعض الفتن والثورات خاصة في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك[2].

إضافة إلى التحركات الدينية والسياسية التي تمثل مختلف الاتجاهات والتيارات الفكرية، مثل أنصار العلويين والخوارج، إضافة إلى الحركات الأخرى مثل حركة ابن الزبير، وحركة ابن الأشعث، وحركة يزيد بن المهلب. لكن هذه الحركات وأن كانت قد نجحت في اشغال الخلافة الأموية وإضعافها، إلا انها لم تكن أحد العوامل الرئيسية التي أدت إلى سقوطها ولم تحقق الأهداف التي سعت من أجلها، إلا انها حققت نجاحاً في عدة أمور وهي: تعطيل الكثير من الفتوحات التي كان الأمويون يخططون لها، سواءً كان ذلك في جبهة القسطنينية، أو بلاد المغرب أو بلاد ما وراء النهر[3].

---

(1) العقيلي، المرجع السابق، ص298.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

عملت على زعزعة هيبة الخلافة الأموية، وافسحت المجال أمام الحركة العباسية لتنظيم نفسه، وتعد للأمر عدته.

ففي عام 126ه/ 743م بدأ التنازع بين أفراد البيت الأموي يأخذ طابعاً دموياً. وأسفر ذلك عن مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك في هذا العام، على أيدي ابناء عمومته، ثم تلى ذلك مشاحنات أدت إلى زعزعة الاوضاع السياسية، فاسهم ذلك وبلا شك، في أن يتحرك دعاة العباسيين حيثما وجدوا بحرية أكثر،فإن العباسيين كانت لهم طموحاتهم في الوصول إلى الخلافة وأضمروا الاستئثار بالسلطة وكان صاحب هذه الدعوة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، الذي أخذ يعد نفسه للخلافة في تلك الأثناء وقد مرت الدعوة العباسية بدورين هما: الدعوة السرية والدعوة العلنية، كما سيرد ذكره بالتفصل لاحقاً[1].

في سنة 127هـ/744م تولى مروان بن محمد بن مروان الخلافة ولكن عهده جاء في ظروف صعبة، فقد كثرت حركات الخوارج في العراق والجزيرة الفراتية واليمن والحجاز وازدادت حدة الصراع القبلي في خراسان. مما ساعد الدعاة العباسيين وعلى رأسهم سليمان بن كثير الخزاعي القائم بأمر خراسان آنذاك في نشر الدعوة العباسية في مدن العراق وقراها و في تلك الأثناء برزت شخصية أبي مسلم الخراساني وطغت على ما حولها، وتزامن ظهوره مع الصراع القبلي الطويل الذي كان قائماً بين نصر بن سيار والي خراسان، وبين علي بن جديع الأزدي الكرماني (من قبيلة الأزد اليمانية) فطلب نصر من يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والي

---

[1]- الموسوعة العربية العالمية – الدولة العباسية –م16 ، ص73

العراق، واستنجد بها، إلا أن انشغالهما بمحاربة قوات المعارضة حال دونه تقديمها المدد والقوة له[1].

في أثناء ذلك استفحل أمر الشيعة العلويين والعباسين في كل من فارس وخراسان لبعدها عن دمشق، لشعور اهلها بظلم الولاة، كما استفحل أمر الخوراج في كل من فلسطين واليمن[2].

إبان ذلك تمكنت قوات ابي مسلم الخراساني من دخول مدينة مرو عام 130هـ/748م.

وفيما يتعلق بكيفية دخول القوات العباسية إلى الكوفة فقد أشارت الروايات التاريخية إلى أن، قحطبة بن شبيب الطائي (قائد القوات القادمة من خراسان) قد هاجم جيش يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري فهزمه قرب الفلوجة على شاطئ (واسط) سنة 132هـ – 749م وبعد مقتل قحطبة في تلك المعركة، سار ابنه الحسن على الكوفة حتى تمكن من دخوله واستسلم له واليها محمد بن خالد بن عبد الله القسري 132هـ – 749م. وبعد ذلك بدأت القوات العباسية بقيادة عبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس بمهاجمة قوات مروان بن محمد والحقت بها هزيمة ساحقة في معركة (الزاب) التي وقعت سنة 132هـ – 750م. على ضفاف نهر الزاب الأعلى وهو (فرع من نهر دجلة قرب الموصل بالعراق) فاندحر مراون إلى مدينة الموصل ثم إلى مدينة حران ومنها إلى حمص فدمشق ثم منها توجه إلى فسطين هارباً لكنه لم يجد من يحميه. وأخيراً توجه نحو مصر، إلا أن جند صالح بن علي بن العباس (عم الخليفة العباسي أبي العباس السفاح)، تمكن من قتله ببلدة (أبو صير) وهي قرية من قرى

---

[1]- العقيلي، المرجع السابق، ص308.

[2]- الموسوعة العربية العالمية: الدولة العباسية – مرجع سابق، م16، ص74.

مصر، وكان ذلك في عام 750م. وبمقتله، وسقوط عاصمته تكون بذلك قد انتهت الدولة الأموية وانتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسين[1].

قام العباسيين عقب ذلك بمحاصرة آخر جيوب المقاومة الموالية للأمويين وذلك في مدينة (واسط) بالعراق التي اعتصم فيها يزيد بن عمر بن هبيرة الفزادي آخر الولاة الامويين في العراق، وحاول مجابهة العباسيين وحشد المناصرين، لكنه فشل واخفق في ذلك، واستسلم إلا انه قتل فيما بعد غدراً على يد أبي جعفر المنصور[2].

انتقم العباسين من الامويين، وصادروا ممتلكاتهم، وتعرضوا للمطاردة والتنكيل، حيثما وجدوا ثم تفرق من نجا من بني أمية، فمنهم من هرب إلى النوبة ومنهم إلى الحبشة وبلاد المغرب وكان من هؤلاء عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الذي فر ومعه بعض أعوانه إلى الاندلس، فبايعه أهلها، ونجح في تأسيس إمارة أموية هناك عام 138هـ وأشتهر بعبد الرحمن الداخل وبعد وفاته ولي الحكم، ابنه هشام.

من هنا يمكن القول إن بني أمية اضاعوا أنفسهم بأنفسهم، وتفسير ذلك أن عقلاء بني أمية وذوي الرأي فيهم قد غابت عن أذهانهم فكرة وضع نظام أساسي للحكم، واضح المعالم تتحدد بموجبه الأسس والضوابط الفعلية التي يجب أن تسير عليها عملية الاختيار من بين ابناء البيت الأموي وتنظم بالتالي عملية تعاقبهم على منصب ولاية العهد، وهذا الفشل أدى إلى وجود ثغرات، كان لها في النهاية أثر سلبي عليهم، وعلى أي حال، فمهما تعددت الأسباب، فإن النتيجة الحتمية كانت واضحة، ألا وهو ضعف خلافة بني أمية، ومن ثم سقوطها ومجئ دولة بني العباس[3].

---

(1) العقيلي ، المرجع السابق ، ص 309.

(2) الموسوعة العربية العالمية، الدولة العباسية، مرجع سابق، ص74.

(3) نفسه

أولاً: الدعوة السرية:

الدولة العباسية دولة إسلامية قامت بعد سقوط الدولة الأمويةعلي يد العباسيين، وهي أسرة من الخلفاء ينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهم والأمويين والهاشميين أبناء عمومة.

إن الذي قام بأمر الدولة العباسية هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وكان يسكن بلدة (الحميمة) وهي قرية صغيرة تقع جنوب فلسطين. وقد تهيأ لمحمد ابن علي في إقامته بتلك البلدة البعيدة عن أنظار الامويين فرصة التفكير والتخطيط لطموحاته في أمر الخلافة.

توحدت صفوف الشيعة بعد مقتل الحسين بن علي رضى الله عنهما – في كربلاء عام 61هـ– تحت قيادة محمد بن علي بن أبي طالب_ ابن الحنفية – وخلفه ابنه أبو هاشم.

أما كيف ظهر هذا الطموح عند بني العباس فهو كما يلي، كان أبو هشام عبد الله بن أبي طالب قد زار تلميذه وصديقه محمد بن علي في الحميمة التي كان يسكن بها، ومرض عنده فلما شعر بدنوا أجله أفضي له بأسرار الدعوة، وأن له دعاة في العراق وفي خراسان يوالونه ويأتمرون بامره وحيث إنه ليس له ابن يخلفه من بعده، فقد عهد بالدعوة إلى محمد بن عبد الله بن العباس، وطلب منه أن يتول أمر دعوته، وأن تكون فيه، ويخلفه أبناءه من بعده فأخذ محمد بن علي يعد نفسه للخلافة منذ يومئذ[1].

وفي ذلك يقول ابن خلدون: "كان أهل الدعوة العباسية بخراسان يكتمون أمرهم منذ مبعث محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز

---

[1] العقيلي، المرجع السابق، ص299.

عندما مر أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ذاهباً من الشام من عند سليمان بن عبد الملك، وكان أبو هاشم قد أعلم شيعته بالعراق وخراسان، وأن الأمر صائر في ولد محمد بن علي بن العباس. فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمداً وبايعته سراً وبعثت الدعاة منهم إلى الآفاق"[1].

ولى الخلافة محمد بن علي بن العباس الذي رأى أن انتقال السلطة من بيتٍ إلي بيت لابد أن تتبعه العدة اللازمة من الأفكار والاناة والحزم ومن أجل أن يضمن أكبر قدر من النجاح لدعوته، فقد التزم محمد بن علي جانب السرية التامة في كل تحركاته واتصالاته وأمر أن يكون الاتصال معه عن طريق كبير الدعاة في الكوفة وهو " بكير بن ماهان "أبو هشام""[2].

وزيادة في الحيطة والحذر فأنه أوصى أحد دعاته "أن أقلل مراسلتي ومكاتبتي" وأوصاهم بأن يكتموا أمرهم ويترفقوا في دعوتهم، وعدم استخدام القوة، وحثهم على اللين واللطف، وحسن الاتصال بالناس وقال لهم "إنه محرم عليكم أن، ترفعوا سيفاً علي عدوكم كفوا أيديكم حتى يؤذن لكم"[3].

كما أتخذ من موسم الحج فرصة يتقابل فيها مع كبار دعاته، لأنه كان يخشى انكشاف أمره فيما لو ترددوا عليه في الحميمة، فيتباحث معهم في أمر الدعوة ويستلم منهم الاموال التي يأتونه بها، ويأخذون منه التعليمات والأوامر.

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق، ص172.

[2]- الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج9، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1990م، ص19.

[3]- نفسه.

كما أمرهم أن يؤلفوا منهم دعاةً يدعون الناس إلى ولاية أهل البيت دون أن يسموا أحداً، خشية من بني امية أن يقضوا على المدعو إذا عرف، ورأوا ، أحسن منطقة يبثون فيها الدعوةِ هي بلاد الكوفة وكذلك بلاد خراسان[1].

أما الكوفة فلأنها مهد التشيع لآل البيت منذ أمدٍ بعيد، فهي بمثابة مأوى لهم، ونقطة مواصلاتهم.

بينما خراسان فسهولة الدعوة فيها مبنية على عدة أمور، منها أن فكرة التشيع يفهمها الخراساني من المسلمين ببساطة ويسر، لأن مؤداها نقل الخلافة إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، صاحب الرسالة وسيد الأمة، إضافة إلى أن خراسان بعيدة عن دمشق مركز الخلافة، وخلوها من أي قوات نظامية قد تستخدم في الاجهاز علي الدعوة في أي لحظة، إضافة إلى غلبة الروح العدائية في خراسان ضد الامويين، وذلك لغلبة العنصر غير العربي فيها، حيث تواجدت فيها فئات من السكان المحليين من الفرس، ومن غير ذوي النزعات القومية العنصرية الانفصالية. فقد عاني هؤلاء من مساوئ سياسة بعض الأمويين وليس جميعهم، وقد عبروا مراراً عن تذمرهم من السياسة الأموية.

كما قد شدتهم وجذبتهم مبادئ الدعوة العباسية وشعاراتها من حيث المساواة بين العرب وغير العرب، والرضا من آل محمد، لذلك فقد كانوا على استعداد لأن يقوموا بتغيير الدولة الحاضرة، وإخراج الخلافة إلى الدولة المستقبلة لكي يكون لهم فيها حظ أوفر من دولة بني أمية[2].

---

[1]- محمد الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية – دار إحياء الكتب العربية بمصر، 1920م، ص20.16

[2]- نفسه

أما عن سير الدعوة ومجريات أحداثها، فقد مرت الدعوة العباسية في طريقها لإسقاط الدولة الأموية وإقامة دولتها بدورين عرف الدور الأول: بدور الدعوة السرية، وعرف الثاني بدور الدعوة العلنية.

أ/ **الدعوة السرية:** إبتدأ تأليف الجمعية أو الدعوة السيرة، وعلى بن عبد الله العباسي حيا لم يمت، وقد إبتدأت في أول القرن الثاني في عهد عمر بن عبد العزيز بن مروان واستمرت من سنة 97هـ أو 98هـ او 100هـ حتى 127هـ[1].

كان للدعوة مركزان كما ذكر آنفاً أحدهما بالكوفة التي اعتبرت نقطة للمواصلات والمركز الثاني بمرو عاصمة خراسان التي هي مقر الدعوة الحقيقي وقد ترأس الدعوة في الكوفة كما سبق ذكره – ما بين 89هـ – 100هـ أربعة رجال مشهورون هم: بحير بن سلمة ثم أبو رباح ميسرة النبال ثم سالم بن بحير ثم بكير بن ماهان. وقد نظم بكير اثنى عشر نقيباً، يرأسهم شيخ النقباء، والقائم بأمر خراسان سليمان بن كير الخزاعي، وكان الدعاة يجوبون خراسان للدعوة في حذر شديد في صورة تجار، وقد أحرزوا في مسعاهم نجاحاً كبيراً[2].

في سنة 125هـ توفى إمام الدعوة محمد بن علي العباس بالحميمة بعد أن كان قد وضع مبادئ دعوة بني العباس وشعاراتها، وكون منظماتها ومؤسساتها، وانتخب نقباءها ودعاتها وحدد مراتبهم ودرجاتهم، وبين عمل كل جماعةٍ منهم، وجدّ معهم في نشرها[3].

عهد محمد بن علي بأمر الدعوة لأبنه إبراهيم الذي انتقلت الدعوة في عهده من السرية إلى العلنية، كما أنه أوصى بكير بن ماهان قبل وفاته برئاسة الدعوة في الكوفة

---

(1) الموسوعة العربية العالمية، الدولة العباسية، مرجع سابق، ص73.

(2) نفسه.

(3) الخضري ، مرجع سابق ، ص 25.

إلى ابي سلمة الخلال. وقال لدعاته: "إن حدث بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد، وأنا أوصيكم به خيراً، فقد أوصيته بكم"[1].

استمر إبراهيم على نهج والده في دعم الدعوة وإرسال الدعاة، ومقابلة كبارهم في موسم الحج والتشاور معهم في أمور الدعوة، وكانوا يتنقلون من مكانٍ إلى آخر يدعون إلى "الرضا من آل محمد" أو إلى "الرضا من آل البيت" أي لأي شخص تقبل به الجماعة من بين أهل بيت رسول الله. وكان غموض الدعوة كفيلاً لأن يلتف حولها كثير من الناس. وهذا ما أكده محمد بن علي حين أوصى أحد دعاته بقوله: "وإن دعوت أحداً من العامة، فلتكن دعوتك للرضا من آل محمدٍ، وليكن اسمي مستوراً عن أحد، إلا عن رجلٍ توثقت منه وأخذت ببعيته". من ناحية أخرى، فإن التنظيم الإداري للدعوة والدعاة كان من السرية بحيث لم يكن أحد يعرف عن الآخر إلا القليل ، وفي أضيق الحدود، والذي كان واضح من خلال تتابع الأحداث أن هؤلاء الدعاة كانوا في حقيقة الأمر متفانين في الدفاع عن قضيتهم وواجهوا مصيرهم بكل شجاعة من أجلها.

ففي عهد مروان بن محمد بن مروان ازدادت الأوضاع سوءاً بسبب حركات الخوارج في العراق والحجاز واليمن، والتي كانت مناوئة لسياسة بني أمية، وقد أبدى مروان ضروباً من الشجاعة والصبر والدهاء، في تعامله مع مجريات عصره، فاستغل الدعاة هذه الأوضاع لصالحهم خاصة سليمان بن كثير الخزاعي، القائم بأمر خراسان، في نشر الدعوة العباسية في مدن خراسان وقراها[2].

---

[1] ابن كثير ، المصدر السابق، ص30.
[2] نفسه.

وفي خضم تلك الأحداث عهد إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم (عبد الرحمن بن مسلم الخراساني) بقيادة عساكر الدعوة في خراسان، وأوصى أن يستمع إلى سليمان بن كثير ويطيعه في كل أمره.

سرعان ما برزت شخصية أي مسلم الخراساني وغطت على من حولها. أختلف في نسب ابي مسلم اختلافاً كثيراً فمنهم من ذكر أنه من خراسان، وبعضهم قال إنه من أصفهان، لكن الراجح أنه من خراسان[1]. أما الدور الثاني للدعوة فيعرف بالدعوة العلنية.

ثانياً/ الدعوة العلنية:

يبدأ دور الدعوة العلنية بإرسال الإمام إبراهيم كتاباً إلى أبي مسلم الخراساني وذلك في العام 129هـ حيث يأمره بالقدوم ليستعلم أخبار الناس. فتوجه نحوه في النصف من جمادي الأخرة مع سبعين من نقبائه، لا يمرون ببلدٍ إلا سألوهم إلى أين تذهبون؟ فيقول أبا مسلم: "نريد الحج، فينفرد بهم أبا مسلم في منتصف الطريق وصله كتاب كان من إبراهيم الإمام" إنني قد بعثت إليك برايه النصر فأرجع إلى خراسان وأظهر الدعوة. ووجه إلى قحطبة بما معك يوافني به في الموسم"[2].

فدفع أبا مسلم، كتاب الإمام إبراهيم إلى سليمان بن كثير وكان فيه إظهار الدعوة.

فأشهر ابا مسلم الخراساني أمر الدعوة في قريةٍ من قرى مرو يقال لها "سفيذنج" وهي قرية سليمان بن كثير[3].

[1]- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمؤلف مجهول، ص218.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق ص358.

[3]- الطبري، المصدر السابق ، ص335.

وبث أبا مسلم دعاته في الناس، وفي أقطار خراسان، فدخل الناس في الدعوة أفواجاً وكثر عددهم.

وفي رمضان عام 129هـ عقد أبا مسلم اللواء والراية التي بعث بها الإمام إبراهيم وهما سودوان وهو يتلو قوله تعالى "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير" ولبس أبا مسلم وسليمان بن كثير ومن أجابهم إلى هذه الدعوة "السواد" فعرفوا بالمسودة نسبة إلى شعار العباسين الأسود. وأقبل الناس إلى أبي مسلم من كل جانب وكثر جيشه[1].

ولما كان يوم عيد الفطر، أمر أبا مسلم، سليمان بن كثير أن يصلي بالناس، ونصب له منبراً، وأن يخالف في ذلك بني أمية، ويعمل بالسنة.

فأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير آذان ولا إقامة وكان وقتئذ يبدأ بالخطبة بالأذان ثم الصلاة بإقامة على هيئة الجمعة ويخطبون على المنابر جلوسا في الجمع والأعياد.أمر أبا مسلم سليمان بن كثير أن يكبر في الركعة الأولي ست

تكبيرات متتابعات قبل القراءة' لا أربعاً، فقد كانت بنو أمية تكبر في الركعة الأولى أربع تكبيرات، وفي الثانية ثلاث تكبيرات، ثم خمس تكبيرات في الثانية. وأبتدأ الخطبة بالذكر والتكبير وختمها بقراءة القرآن الكريم[(2)].

كتب أبا مسلم إلى نصر بن يسار كتاباً بدأ فيه بنفسه وقال له: "بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فإن الله غير أقواماً في كتابه فقال "واقسموا بالله جهد إيمانهم لئن جاءهم نذير مازادهم إلا نفوراً، استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهل فهل ينظرون إلا سنة الأولين ولن تجد لسنة الله تحويلا"[(3)].

---

[1]- ان كثير ، مصدر سابق، ص30.

[(2)] العيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمؤلف مجهول، ص219.

[(3)] نفسه.

فلما قرأ نصر الكتاب، أطال الفكرة فيه وكبر أمره عنده فقال هذا كتاب له جواب.

أدرك نصر بن يسار والي خراسان خطورة الدعوة العباسية في ولايته، ورأي قوة وشدة أبي مسلم الخراساني وإقدامه وجرأته، وأن الناس قد جاءوه طائعين مختارين قاصدين البيعة.وفي نفس الوقت كان الخلاف بين شيعة بنى مروان قد بلغ أشده وصار بعضهم يقتل بعضاً.

فلما أيقن نصر بن يسار عجزه عن مقاومة أبي مسلم الخراساني، أرسل إلى الخليفة مروان بن محمد كتاباً يعلمه فيه بحال أبي مسلم وقوته وكثرة أتباعه، ويكشف له أيضاً ضعف الجند الأموي في خراسان وقلة حيلته، إلا أن مروان رد عليه بقول "إن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم أنت هذا الداء الذي ظهر عندك"[1].

في عام130هـ - 748م تمكنت قوات أبي مسلم من دخول مدينة "مرو" وفي تلك الأثناء أرسل إليه إبراهيم بن محمد الإمام كتاباً يأمره فيه لا يبقى أحداً بأرض خراسان ممن يتكلم العربية إلا أباده أطلع مروان بن الحكم على كتاب إبراهيم، وعلم بأمره، وجئ به من الحميمة حتى أودع السجن في مدينة "حران" وظل في سجنه حتى توفى أو قتل على أيدي بني أمية في محرم من سنة 132هـ - 749م[2]

أما أخوا إبراهيم، وهم أبا العباس عبد الله بن محمد بن علي (الشهير بالسفاح)، وأبو جعفر عبد الله بن علي (الشهير المنصور) قد هربا ومعهما أهلها إلى الكوفة، وذلك بناءً على نصيحة أخيهما إبراهيم، فأنزلهم أبو سلمة الخلال (كبير الدعاة هناك)

---

(1) العيون والحدائق في أخبار الحقائق ،المصدر السابق، ص220-225.

(2) نفسه.

دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم، وكتم أمره عن جميع القواد والشيعة، وظلوا كذلك حتى دخول القوات العباسية المدينة

في تلك الأثناء، تمكنت القوات العباسية من دخول مدينة الكوفة بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي، قائد القوات القادمة من خراسان، والذي باغت بجيشه جيش (يزيد بن عمرو بن هبيرة الفزاري) آخر ولاة بني أمية في العراق، فالحق به قحطبة هزيمة ساحقة قرب الفلوجة على شاطئ الفرات، فاضطر إلى الانسحاب إلى مدينة واسط في عام 132هـ - 749م[1].

لما بلغ إلى أهل الكوفة نبأ مقتل إبراهيم بن محمد الامام، أراد أبو سلمة الخلال أن، يحول الخلافة إلي آل علي بن أبي طالب، فأعلن أبا مسلم الخراساني أن الخلافة لبني العباس من دون الناس، وبويع لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم المعروف بأبي العباس السفاح، كأول خليفة عباسي يجلس على عرش الخلافة العباسية وذلك 13 ربع الأول 132هـ - 749م أي قبل مقتل آخر خليفة أموي بتسعة أشهر حيث قتل الخليفة مروان بن محمد في قرية بوصير في عام 132هـ - 750م وبمقتله انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين[2]

أعلن العباسيون قيام دولتهم في مدينة الكوفة، وبايعوا فيها أبا العباس، وأصطف الناس، لخروجه، ودخلوا دار الإمارة وخرج أبا العباس إلى المسجد فخطب وصلى بالناس، ثم صعد المنبر حين بويع له بالخلافة.

---

[1] ابن كثير ، مصدر سابق، ص4.

[2] عبد الله كامل موسى عيده، العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية، ص19.

انتقل الخليفة العباسي أبا العباس إلى مدينة الأنبار وعرفت هذه المدينة بالهاشمية وكانت تقع على شاطئ الفرات وظل بها أبو العباس حتى توفى في عام 136هـ - 754م. إلي أن نزلها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور شقيقه الذي خلف العباس من بعده والذي حكم خلال الفترة من 136-158ه/ 754-775م. وبلغ عدد خلفاء هذه الدولة سبعة وثلاثون خليفة كان من أبرزهم أسهاماً في بناءها والحفاظ عليها السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والمأمون والمعتصم.[1]

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص117.

الفصل الثالث

حركات المعارضة الشيعية للدولة العباسية

1. معارضة محمد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأبي السرايا في عهد المأمون.
2. معارضة محمد الديباج بن جعفر الصادق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في عهد المأمون.
3. معارضة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأبي عبد الله أخ أبي السرايا في عهد المأمون.
4. معارضة محمد بن القاسم في عهد الخليفة المعتصم.

تمهيد:

اتخذ أبو العباس السفاح مدينة الأنبار مركزاً لخلافته التي كانت لمدة أربع سنوات وتسعة أشهر.

قضى أبو العباس السفاح فترة حكمة بأكملها في هدم بقايا دولة بني أمية، وتميزت فترة حكمه بأنها كانت مفعمة بحوادث الشدة والقسوة على من بقي من الأمويين ومع غيرهم من أولياءها.. الذين فكروا في إحيائها من جديد.

بمعنى آخر أن حياة أبو العباس السفاح انقضت كلها في التخلص من بني أمية وفي كل من ارتاب في إخلاصه لأجل ذلك شهد عهده الكثير من حوادث سفك الدماء. عهد السفاح الخلافة لأخيه أبي جعفر المنصور الذي يتفق العديد من المؤرخين على أنه المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، فعندما تولى المنصور الخلافة لم تكن الدولة قد توطدت دعائمها بعد، إلا أنه قام بنصيب وافر في إرساء دعائم الخلافة وقواعدها وعمل في التخلص من أعدائها وخصومها وبنى العاصمة الكبيرة بغداد ووضع فيها أسس النظم الإدارية والمالية[1].

قامت في عهد المنصور حركة شيعية تزعمتها جماعة الشيعة الزيدية ضد الدولة العباسية، تحت قيادة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب (بالنفس الذكية[2]) إلا أن المنصور تمكن من إخماد هذه الثورة والقضاء عليها نهائياً ولكن لم تقف الأمور عند هذا الحد فقد شهد العصر العباسي العديد من الثورات الشيعية المعارضة لحكم بني العباس والتي هدفت للإطاحة بالدولة العباسية وبشكلٍ خاص بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد، وارتقاء المأمون الخلافة والتي أعقبتها

---

[1] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي الاجتماعي (العصر العباسي الأول في الشرق ومصر والمغرب والأندلس)/ ج2/ دار الجيل/ بيروت/ 2009/ ص 53.

[2] أبو الحسن علي بن المحسن المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر/ ج3/ بيروت/ 1986/ ص 360.

اضطرابات داخلية، والتي كانت فرصة سانحة لبعض الحركات الشيعية لتعلن تمردها وثورتها ضد المأمون. وانتهزت هذه الحركات المعارضة الفتنة الشهيرة التي حدثت بين الأمين وأخيه المأمون، والتي نتج عنها مقتل الخليفة الأمين على يد المأمون. وبسبب ما أقدم عليه المأمون، ثارت العناصر العربية من العباسيين على المأمون.. زاد الأمر سوءاً عندما اعتمد المأمون على العنصر الفارسي الذي ينحدر منه، لتسيير أمور الدولة دون العنصر العربي وتمثل ذلك في تعيين الفارسي الفضل بن سهل وزيراً للدولة. والذي منحه المأمون ديوانا الإمارة والوزارة حتى لقب بذي الرئاستين لجمعه بين رئاسة السيف والقلم[1].

يمكن أن نقول أن الموقف في الدولة العباسية كان كالآتي: المأمون يحظى بتأييد من العناصر الفارسية في الحكم، وأقام في مرو بخراسان، بعيداً عن مركز الثقل في العراق، بينما تولى وزارته الفضل بن سهل الفارسي الأصل ذو الميول الشيعية، والذي كان مستأثراً بشئون الدولة بشكل شبه مطلق، وعقد لأخيه الحسن بن سهل ولاية العراق. فكانت المحصلة أن أقام الفرع العربي في العراق كارهين مقتل الخليفة العربي الخالص الأمين، رافضين هيمنة الفارسي الفضل بن سهل على المأمون[2].

من أجل ذلك قامت عدة حركات مناوئة للبيت العباسي رافضة حكم العباسيين، آملة في التخلص منه، وجميع تلك الحركات المعارضة تنتمي للفرع العلوي الشيعي إلا أن تلك الحركات الشيعية المعارضة قد باءت جميعها بالفشل الذريع والإخفاق نتيجة سوء التنظيم والتخطيط والفرقة وعدم الوحدة كما أن بعض تلك المعارضات اتسمت بالعنف والإرهاب والشدة وافتقارها إلى إمام يكون محوراً لنشاطهم.

---

[1] طباطبا، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية/ بيروت/ 1966م/ ص 221- 222.

[2] نفسه.

من أهم حركات المعارضة المناهضة لدولة العباسية ما يأتي:-

أ- معارضة إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأبو السرايا وكانت في زمن المأمون.

ب-معارضة محمد الديباج بن جعفر الصادق بن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانت في زمن المأمون أيضاً.

ج- معارضة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكذلك معارضة عبد الله أخ أبي السرايا وفي عهد المأمون.

د- معارضة محمد بن القاسم وكانت في عهد الخليفة المعتصم.

من أهم حركات المعارضة التي واجهتها الدولة العباسية ما يأتي:-
أولاً: معارضة محمد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأبي السرايا:-

هي إحدى الحركات الشيعية التي اندلعت ضد العباسيين وحكمهم، وقد ساعد اضطراب الأحوال في الدولة بعد تولي المأمون الحكم، ساعد في قيام هذه الحركة إشاعة القلاقل بين المسلمين وإثارة مشاعرهم.

كان محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مقيماً في المدينة، وكان في ذلك الوقت أحد العلماء المبرزين من آل أبي طالب، وأكثرهم قرباً للناس[1].

كانت البدايات الأولى لحركته هذه عندما قدم أحد رجال الشيعة إلى موسم الحج سنة 199هـ وكان هذا الرجل يسمى نصر بن شبيب، وكان شيعي المذهب فلما قدم إلى المدينة سأل عن آل البيت، فعرف أن محمد بن إبراهيم أكثر آل البيت مقاربة للناس، وأكثرهم سخطاً واحتجاجاً على بني العباس وحكمهم، فدخل عليه وحرضه على الثورة على بني العباس ووعده النصر، فتحمس إبراهيم لذلك، ووعده بأن يلحق به إلى الجزيرة ومعه أصحابه وشيعته[2].

وفعلاً لحق به محمد بن إبراهيم نصر إلى الجزيرة ومعه عدد من شيعته، بينما جمع نصر أهله وعشيرته وعرض عليهم الخروج مع محمد بن إبراهيم فأجابه بعضهم وامتنع عليه البعض، وكثرت النزاعات بينهم، إلا أن أهله توجهوا إليه بالنصيحة، وحذروه من مغبة الخروج عن الحكم، وخطورة تعريض نفسه وأهله ما لا قدرة لهم عليه وأخذ نصر بهذه النصيحة وتأثر بها فخفتت حماسته وعزيمته، فعرض على محمد بن إبراهيم مبلغاً من المال قدره خمسة آلاف درهم تعينه على القيام بما يرمي إليه ويستند به، وتأسف له عما بدر من خلاف الناس عليه، وسخطهم على آل

[1] علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين/ دار إحياء الكتب العربية/ د.ت/ ص 519-520.
[2] نفسه.

البيت فغضب محمد لذلك وغادر الجزيرة قافلاً إلى الحجاز، والتقى في طريق عودته بأبي السرايا[1].

وأبو السرايا هذا، هو السُري بن المنصور، وينتمي إلى قبيلة ربيعة، وقد أبلى بلاءً حسناً إبان فتنة الأمين والمأمون[2].

ومن ثم توجه محمد بن إبراهيم من فوره إلى الكوفة، وأخذ يتأهب لأمره ويدعوا من يثق به حتى اجتمع إليه كثير من الناس، أما أبو السرايا فقد وصل إلى الكوفة، وكان محمد بن إبراهيم في انتظاره مع شيعته، وقد انضم إليه كذلك عدد كبيرة من أهل الكوفة فكانوا على كثرة إلا أنهم افتقروا إلى النظام.

خطب محمد بن إبراهيم في أهل الكوفة، داعياً إلى بيعته للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، والعمل بكتاب الله عز وجل، وإتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتمت البيعة في موضع بالكوفة عرف (بقصر الضرتين) وهنالك بايعه الناس جميعهم[3].

استدعى الحسن بن سهل والي العراق آنذاك أحد القواد العباسيين، وهو زهير بن المسيب وعهد إليه بإخضاع أبي السرايا وأمده بالرجال والمؤن، فخرج زهير إلى قتال محمد بن إبراهيم في الكوفة، وكان محمد بن إبراهيم إبان ذلك طريح الفراش، إلا أنه أمر داعيته أبو السرايا بالخروج لقتال الجيش العباسي[4]. فالتقى الجيشان سنة 199هـ في معركة شرسة في قرية يقال لها "شاهي" انتهت بهزيمة الجيش العباسي، وغنم أبو السرايا منه الكثير من الغنائم، وقد غضب الحسن بن سهل بهزيمة زهير غضباً شديداً[5]، وارتفعت الروح المعنوية للشيعة، بسبب ذلك النصر الذي حققوه على الجيش العباسي، ودخل أبو السرايا الكوفة دخول الغزاة الفاتحين، وبحوزته عدد كبير

---

[1] الأصفهاني، المصدر السابق، ص 52.

[2] إبن الأثير: مصدر سابق، ص 416.

[3] الأصفهاني: المصدر السابق، ص 523.

[4] الطبري، مصدر سابق، ج5، ص 123.

[5] أحمد يعقوب بن جعفر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي/ ج2/ القاهرة/ 1977م/ ص 447.

من الأسرى والغنائم، وكان محمد بن إبراهيم على فراش المرض فطلب منه أبو السرايا أن يوصي له، فأوصاه بتقوى الله عز وجل، وبمواصلة الجهاد، ونصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم، وجعل من علي بن عبيد الله الأمر ولكن علي بن عبيد الله أعلن تنازله عن هذا الأمر قائلاً: "إنه يخاف أن ينشغل به عن عبادةِ الله عز وجل".[1] لذلك اقترح عليهم أن يبايع الشيعة محمد بن محمد بن زيد فوافقه على ذلك أبو السرايا وبايعته الشيعة[2].

ذُكر أن محمد بن زيد كان صغير السن ولذلك استأثر أبو السرايا بالأمر دونه، فكان هو الذي ينفذ الأمور[3]، وقد ولي زيد بن موسى بن جعفر "الأهواز"، بينما ولي الحسن بن الحسن الأفطس "مكة" فتوجه إليها في موسم الحج وأقام الحج.

أدرك الحسن بن سهل خطورة الموقف، واتساع نطاق دعوة أبي السرايا، لذلك أراد أن يعهد بأمره إلى قائدٍ محنك يدعى هرثمة بن أعين الذي خرج إلى مدينة حلوان احتجاجاً على تولية الحسن بن سهل والياً على العراق، بدلاً عنه. فأرسل إليه الحسن بن سهل طالباً منه العون والمساندة، فأبى أن يعود ويشارك في حل الأزمة بادئ الأمر، إلا أن الحسن أرسل إليه بكتبٍ رقيقة اللهجة، وفي نهاية الأمر استجاب هرثمة لطلب الحسن[4].

وصل هرثمة إلى "النهروان" في حشدٍ عظيم، وأمر الحسن بن سهل أن تنقل إليه دواوين الجيش فيختار من يشاء من الرجال، وأعطاه الحرية في العطاء والنفقة[5].

رأى هرثمة أن يلجأ إلى الحيلة أولاً قبل النزال فصاح في جند أبي السرايا قائلاً (يا أهل الكوفة علام تسفكون دمائكم ودمائنا إن كان قتالكم لنا كراهية لإمامنا، فهذا المنصور بن المهدي قد رضي لنا ولكم أن نبايعه وإن أحببتم أن يخرج الأمر عن

---

[1] الأصفهاني: مصدر سابق، ص 529.

[2] المسعودي: مصدر سابق، ج4، ص 31.

[3] الطبري، المصدر السابق، ص 123.

[4] نفسه.

[5] الأصفهاني، المصدر السابق، ص 536.

بني العباس فانصبوا إمامكم واتفقوا معنا ليوم الاثنين نتناظر فيه ولا تقتلونا وأنفسكم)[1].

نجحت هذه الحيلة بالفعل فتقاعس جنود أبي السرايا عن القتال وغضب لذلك، ووبخ جنوده، وأوضح لهم أن هذا الأمر مجرد حيلة، ثم ألقى أوامره لهم بأن يقوموا بحفر خندق حول الكوفة، فقام الناس بحفره حتى فرغوا منه، فلما حان الليل وجد أبو السرايا أن من الأفضل الخروج عن الكوفة وكان في صحبته محمد بن محمد بن زيد وعدد من العلويين والأعراب وقليل من أهل الكوفة قاصدين مدينة "القادسية" وفي رواية أخرى، يقال أن أبا السرايا عندما لاحظ تقاعس جنوده، قرر أن يسلم نفسه ومحمد بن محمد بن زيد إلى هرثمة ويطلبان منه الأمان، إلا أنه خشي أن يغدر بهما، فتراجع عن ذلك وتمسك بقراره بالخروج عن الكوفة.

إبان خروج أبي السرايا عن الكوفة دخلها المنصور بن المهدي (ابن الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور الذي كان مقيماً بالعراق)، بينما أقام جيش هرثمة خارج الكوفة، فجاء إليه أشراف الكوفة طالبين منه الأمان لأهل الكوفة، فاستجاب لهم هرثمة، وجعل في الكوفة والياً عباسياً هو "غسان ابن الفرج"[2].

أمضى أبي السرايا ثلاثة أيام بالقادسية حتى اجتمع لديه جنوده وأصحابه، فسلك طريق البر، وفي نيته أن يقصد الكوفة أو واسط، التي بلغه بأن هاتين المدينتين قد صارتا تحت سيطرة العباسيين، فأخذ يجول في عدة مناطق حتى وصل مدينة "الأهواز" ودخل في قتال مع واليها الحسن بن علي المأموني، وقد تمكن من هزيمة أبي السرايا الذي أصيب بجراح شديدة، فانسحب حتى وصل إلى إحدى مدن خراسان التي تعرف باسم "برقانة" وقد نصحه عاملها "حماد الكندفوش" بأن يسلم نفسه إلى الحسن بن سهل وطلب الأمان منه فوافق أبي السرايا لذلك. إلا أن الحسن بن سهل

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ص 546.

[2] نفسه.

كان مصراً على قتل أبي السرايا، وقد تمكن من ذلك وجال برأسه في المعسكر وأمر بصلب جسده على جسر بغداد[1].

أما فيما يخص العلوي محمد بن محمد بن زيد، فقد أمر الحسن بن سهل بالإبقاء عليه حياً كي لا يغضب الخليفة المأمون وأرسله إلى الخليفة الذي اندهش لصغر سنه، فأنزله في دارٍ يخدمه فيها خادم، قيل أنه ظل فيها لمدة أربعين يوماً إلا أنه مات جرّاء شراب مسموم قدم له[2].

باءت حركة أبي السرايا بالفشل الذريع لعدة أسباب أبرزها عدم انتسابه للبيت العلوي، خاصة أنه كان من رجال هرثمة بن أعين، أي من رجال العباسيين، لذلك لم يقتنع الكثيرون بصدق نواياه. لذلك كان لا بد من زعيم علوي مؤهل ليقود هذه الحركة، وقد تمثل ذلك في شخص محمد بن إبراهيم، إلا أن مرضه منعه من تزعم هذه الحركة وتولي قيادتها.

أما فيما يتعلق بالزعيم العلوي الثاني علي بن عبيد الله فقد كان مسالماً فتخلى عن قيادة الحركة وأوكلها إلى محمد بن محمد بن زيد الذي كان حديث السن، مما مهد لأبي السرايا تولي زمام الأمور والهيمنة على الأوضاع فكانت القيادة الفعلية في يده.

من الأمور الأخرى التي لعبت دوراً في إفشال هذه الحركة هو جنوحها إلى العنف والشدة، فقد أقدم القائد زيد بن موسي على إحراق دور العباسيين وأتباعهم بالبصرة، وإذا وقع أحد من العباسيين في قبضته يقوم بإحراقه بالنار[3].

كما أن أفعال رجال أبي السرايا نمتّ عن بطش وتنكيل بالناس، لذلك فإن لهذه الأفعال أكبر الأثر في انفصام قيادة هذه الحركة عن بقية عناصرها، ولم يكن أبا السرايا ورجاله سوى مجموعة من المرتزقة، الذين أثاروا مشاعر المسلمين، وساهموا في إثارة حنقهم ورفضهم لهذه الحركة جملة وتفصيلاً.

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ص 421.

[2] الأصفهاني: المصدر السابق، ص 548.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ص 421.

ثانياً: معارضة محمد الديباج بن جعفر الصادق بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب في عهد المأمون:-

قامت هذه الحركة في عهد الخليفة العباسي المأمون وهي من الحركات العلوية الشيعية التي تزعمها أحد زعماء الشيعة العلويين وهو محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، واتخذت هذه الثورة بلاد الحجاز مركزاً لها.

ومحمد بن جعفر هو ابن الإمام جعفر الصادق (إمام الشيعة الإمامة) ولقب بالديباج لحسنه وبهائه، إضافة لزهده كما كان فاضلاً في أهله[1].

تعددت وتنوعت المصادر في ذكر الأسباب التي دفعت محمد بن جعفر ليعلن الدعوة لنفسه، بينما رجحت مصادر أخرى أن شيعته ألحوا عليه في إعلان الدعوة لنفسه إلا أنه كان متردداً حيال الأمور. إلا أن إلحاح ابنه علي وابن عمه الحسين بن الحسين الأفطس وضغطا عليه، حتى استجاب لهما في آخر الأمر[2].

ذكر ابن طباطبا في كتابه "الفخري" قائلاً: (كان بعض أهله قد حسن له ذلك حين رأى كثرة الخلاف ببغداد وما بها من الفتن وخروج الخوارج وكان محمد بن جعفر شيخاً من شيوخ أبي طالب يقرأ عليه العلم وكان روى عن أبيه علماً جماً فمكث بمكة وكان الغالب على أمره ابنه وبعض بني عمه ممن لم تحمد سيرتهم)[3].

تزامنت فترة إقامة الخليفة المأمون في مرو، مع الاضطرابات التي أصابت الدولة الإسلامية، وكانت دافعاً كبيراً لبعض الشيعة الذين اختاروا وقدموا الإمام محمد بن جعفر لطلب الخلافة، وشجعه أقاربه على ذلك وبايعوه بالخلافة سنة 200هـ، وسمي بأمير المؤمنين كما بايعه أهل المدينة بإمارة المؤمنين[4].

---

[1] الأصفهاني: المصدر السابق، ص 557.

[2] الطبري: المصدر السابق، ص 128.

[3] ابن طباطبا: المصدر السابق، ص 220.

[4] المسعودي: المصدر السابق، ص 31.

انشغلت الدولة العباسية في تلك الفترة بمشاكلها واضطراباتها الداخلية، لذلك لم تول كبير اهتمام لهذه الحركة، كما أن تلك الحركة انحصرت في داخل الحجاز ولم تتوسع إلى خارجها.

في إحدى المرات قدمت بعض القوات العباسية من اليمن، وعلى رأسها إسحق بن موسى المهدي قائد هذه القوات، فخشي العلويين وقوع صدام بينهم وبين هذه القوات فأشاروا على محمد بن جعفر بحفر خندق حول مكة، وحشدوا عدداً من الأعراب ليعاونوهم في حفره. ثم دارت مفاوضات بين القائد العباسي وقواته، وبين العلويين، انسحب على إثرها إسحق بن موسى كارهاً أن تكون مكة مسرحاً للنزال، فسار متجهاً نحو العراق، وفي طريقه قابله قائد عباسي يدعى "ورقاء بن جميل" على رأس بعض القوات فأقنعه بضرورة العودة إلى مكة والقضاء على هذه الحركة الشيعية[1].

بلغت أنباء عودة إسحق بن موسى مع ورقاء بن جميل، أسماع محمد بن جعفر، فأسرع في حشد قواته لمجابهة القوات العباسية، وقد وصف الطبري قواته بأنها ضمت غوغاء أهل مكة، وأهل السودان الذين كانوا يعلمون في حمل المياه بمكة إلى جانب بعض البدو[2]

التقت القوات الشيعية العلوية بالقوات العباسية عند موضع خارج مكة يقال له "بئر ميمون"، ودارت بينهما معركة استمرت ليومين متتاليين، انتهت بهزيمة قوات محمد بن جعفر، فأضطر أن يبعث برجال من قريش بما فيهم قاضي مكة طالبين الأمان من العباسيين للعلويين، شريطة أن يغادروا مكة إلى حيث شاءوا من أقطار الدولة الإسلامية، فوافق كلاً من إسحق بن موسى وورقاء بن جميل على ذلك، ومنحا العلويين ثلاثة أيام لمغادرة مكة[3].

---

(1) الطبري: المصدر السابق، ص 128-129.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

بعد انقضاء المهلة المفروضة، خرج العلويين من مكة ودخلها العباسيون، ثم تفرق العلويين بعد ذلك، وقصدت كل جماعة علوية جهات مختلفة، وقصد محمد بن جعفر مدينة "جدة" ومن جدة توجه نحو بلاد "جهينة" الواقعة على ساحل البحر الأحمر، والتف أهلها حوله عندما علموا بما يدين به من القرابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. عندما علم والي المدينة "هارون بن المسيب" بدعوة محمد بن جعفر مرة أخرى، رأى أنه لا بد من الوقوف منها موقفاً حازماً ويجب التخلص منها، فأرسل قوات عسكرية لمحاربته وقد ألحقت به هزيمة وقتلت الكثير من أنصاره، فتراجع محمد بن جعفر منسحباً مرة أخلى إلى بلاد جهينة وحاول جمع المزيد من الأنصار إلا أنه فشل في ذلك فطلب الأمان من عيسى بن زيد قائد القوات العباسية المصاحبة لقوافل الحج فمنحه الأمان على نفسه ورافقه حتى مكة. عندما وصل محمد بن جعفر مكة، وقف في منبر المسجد وخلع نفسه من الخلافة معتذراً للناس بأنها كانت فتنة غشيت الناس عامة، وأعلن أنه بعد تنحيه من الخلافة وخلع نفسه أصبح رجلاً من عامة الناس، ولا بيعة له على أحد[1].

أرسل محمد بن جعفر بعد ذلك إلى الخليفة المأمون بمدينة مرو، وتوفى هناك بعد فترة وجيزة وقد اشترك المأمون في تشييع جنازته[2].

وبتنحي محمد بن جعفر، ووفاته عقب ذلك، يسدل الستار على هذه الحركة الشيعية المحدودة، ومن أسباب إخفاقها الافتقار إلى الدقة وإهمال الدعوة لها في المناطق المختلفة، وعدم تدبير الخطط الحربية الدقيقة المحكمة، وقد اشتركت جميع هذه الحركات في تلك الأسباب لذلك باءت جميعها بالفشل الذريع.

إضافة إلى تلك الأسباب الأنفة الذكر فإن محمد بن جعفر اخطأ في اعتماده على بعض الأنصار من ذوي السيرة السيئة، مما أثار عليه أهل مكة، وقيد حركته وقلل من فاعليتها، وروي أن ابنه علياً وحسين بن الحسن الأفطس وجماعتهما، كانوا

---

[1] الأصفهاني: المصدر السابق، ص 541.

[2] نفسه.

من أسوأ الناس سيرة وأقبحهم فعلاً إضافة إلى أنهما لعبا دوراً بارزاً في إظهار محمد بن جعفر لدعوته، ودفعاه دفعاً لإعلان نفسه خليفة للمؤمنين، ولذلك فإن اعتماد محمد بن جعفر عليهما مع ما اتصفا به من سوء السيرة والخلق، أسهم إسهاماً كبيراً في عدم التفاف أهل مكة حول هذه الحركة، وعدم تقبلهم لها.

ثالثاً: معارضة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأبي عبد الله أخ أبي السرايا في عهد المأمون:-

أدرك الخليفة المأمون أنه لا جدوى من محاولة استمالة العناصر العربية في البيت العباسي. والتي اتخذت منه موقفاً عدائياً، لذلك وجد المأمون نفسه مضطراً إلى الاعتماد على العناصر الفارسية في دولته، ولا بد له من إرضاءهم، وعُرف أهالي خُراسان وفارس بميولهم الشيعية، وبحبهم وتقديرهم لآل علي ابن أبي طالب فوجد المأمون أن البيعة لأحد العلويين هي أفضل لإرضاء مشاعرهم، وكان التشيع وقتذاك شائعاً ومنتشراً بكثرة في الدولة، وأراد كثير من العلويين الخروج على المأمون، وشعر المأمون بعداوة البيت العباسي له، إضافة إلى تطلع بعض العباسيين إلى الخلافة، وأعلنوا عصيانهم على الحسين بن سهل في العراق، وبذلك أصبحوا مصدر خطر ولا يمكن الوثوق بهم. وبسبب تلك الظروف، رأى المأمون أن يعهد بالبيعة لأحد أبناء البيت العلوي، فوجد أن من يستحق ذلك هو علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي بن الحسين، لاشتهاره بالتقوى والعلم والورع، فبعث المأمون يستدعيه إلى خراسان، وأحسن ضيافته وأنزله منزلاً كريماً، ثم ألقى أوامره، بجمع قادته وإخبارهم أنه لم يجد أفضل ولا أحق امرئ بالأمر من علي الرضا بن موسى، فبويع له بولاية العهد في عام 201هـ من شهر رمضان[1].

كان الوضع في الدولة العباسية بعد البيعة لعلي غير مألوف، إذ أن الخليفة عباسي، وولي العهد علوي شيعي ليس ذلك فحسب بل إمام فرق "الشيعة الإمامية"، أما الوزير الفارسي "الفضل بن سهل" فقد كان صاحب النفوذ والكلمة العليا بالدولة

[1] المسعودي: المصدر السابق، ص 33.

والمسيطر على مجريات الأمور من أجل هذا صار الخليفة المأمون بعيداً عن مجريات الأحداث التي تسير في دولته، كما أن الشيعة لم يقتنعوا بالولاء للمأمون بسبب البيعة التي تمت لعلي الرضا، ووجدوها مجرد بيعة مزيفة وليست سوى حيلة وخدعة من بني العباس لتطمينهم وتهدئ من روعهم، ففقدوا المصداقية والثقة ببني العباس واعتبروا تودد بعض الخلفاء العباسيين إلى آل أبي طالب، جالباً للريبة والشك وسوء الظن[1].

ظهرت بوادر حركة شيعية صغيرة في الكوفة، وذلك عندما كتب المأمون إلى الحسن بن سهل والي العراق طالباً منه أخذ البيعة لعلي الرضا ونقض بيعتهم ومنحها لإبراهيم بن المهدي بن أبي جعفر المنصور.

قام الحسن بن سهل بتوليه أحد العلويين على الكوفة، وهو العباس بن موسى الكاظم، أخ علي الرضا، لكن ارتاب أهل الكوفة في صدق نوايا المأمون التي جعلته يقوم بتولية العهد لعلي الرضا فأخبروا العباس بأنه إذا كان يدعوا إلى المأمون ومن ثم إلى أخيه علي الرضا فهم ليسو في حاجة إلى دعوته وإن كان يدعوهم لشخصه ولنفسه أو لبعض أهل بيته رضوا بدعوته. وهذا القول إن دل على شي فإنما يدل على عدم ثقة هؤلاء الشيعة من أهل الكوفة بوعود المأمون. وبخداعه لهم حينما ولي علي الرضا، حتى يأمن جانبهم. إثناء محاولاته الدؤوبة لتهدئة الأوضاع المضطربة وإخمادها منذ توليه الخلافة، كما توضح روح الثورة الكامنة في نفوسهم منذ عهد علي بن أبي طالب، وتكشف عن تطلعهم إلى إمام علوي قوي يقود جهادهم ضد العباسيين، لذلك خابت آمالهم وفقدوا حماسهم بسبب واليهم العلوي الذي أصر على الدعوة للمأمون ثم من بعده لأخيه علي الرضا، فلم يتقبلوا دعوته بل رفضوها وخرجوا عن طاعته[2].

---

[1] سميرة الليثي، المرجع السابق، ص 366.

[2] الطبري: مصدر سابق، ص 141.

هذا الانفصام الواضح بين العباسيين انبثقت منه حركة شيعية مناهضة للدولة العباسية والخليفة المأمون وزعيم هذه الحركة، أحد العلويين ويسمى "علي بن محمد بن جعفر الصادق"، وانضم إليه كقائد فعلي لهذه الثورة أبو عبد الله "أخ أبي السرايا" وكثير من شيعته وذلك في سنة 202هـ، وانضم هؤلاء الشيعة الثائرون إلى الثوار العباسيين الخارجين عن طاعة المأمون في العراق، والمبايعين لإبراهيم بن المهدي ابن أبي جعفر المنصور، حتى يتمكنوا من مواجهة والي الكوفة العلوي "العباس بن موسى" الذي أعلن ولاءه للمأمون بعد البيعة لعلي الرضا بعهده. صار الموقف في الكوفة أكثر تعقيداً، حيث تحالف القواد العباسيين مع الشيعة، ووقفت شيعة الكوفة ضد واليها العلوي، ورفضت الاعتراف ببيعة على الرضا، ومن ثم كانت هنالك قوتان متواجهتان، قوة يقودها تحالف الشيعة والقواد العباسيين، وقوة عباسية يقودها الوالي العلوي الشيعي "العباس بن موسى". دارت بين الطرفين معارك طاحنة، وكان شعار العلويين وحلفاؤهم العباسيين (يا إبراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون) أي أن العلويين أعلنوا ولاءهم لإبراهيم المهدي، الذي بايعه العباسيون، وأهالي بغداد خليفة بدلاً عن المأمون[1].

سببت المعارك العنيفة بين الطرفين الكثير من الخراب فاشتعلت الحرائق، وأحدثت الكثير من الأضرار بالكوفة فاجتمع وجهاء القوم بالكوفة واستسلموا للثوار. وحصلوا منهم على الأمان للعباس بن موسى، وأصروا على خروج العباس من الكوفة موضحين له أن عامة من معه من الغوغاء هم من تسببوا في إحداث الأضرار والحرائق والسلب والنهب، لذلك ألحوا في خروجه عن الكوفة، لأن الناس ليسوا بحاجة أن يكون موجوداً بينهم بشكلٍ واضح[2].

أضمر العباس بن موسى قبوله فكرة الخروج عن الكوفة وتظاهر بموافقته على الخروج منها، فخرج منها ثم عاد مرة أخرى، وتعرضت قواته لهزيمة كبيرة، ودخل

---

[1] المسعودي: المصدر السابق، ص 33.

[2] الطبري: المصدر السابق، ص 142.

الثوار مدينة الكوفة وأشعلوا النيران في ديار العباسيين من أنصار الوالي وقاموا بنهبها، وبعد أن حقق العباسيين الموالين للشيعة النصر الذي طمحوا بالوصول إليه، أرادوا التحرر من مخالفة العلويين وشيعتهم. فقاموا على الفور بتولية رجل موالٍ للعباسيين، ليكون والياً على الكوفة، وهذا الرجل يدعى "الفضل بن الصباح الكندي"، وتمكن الفضل من التخلص من أبي عبد الله أخ أبي السرايا وقتله[1].

ذاعت أنباء العراق غير المستقرة الأحوال إلى الخليفة المأمون، وأوضح له الإمام علي الرضا حقيقة الأوضاع فيها ودعا المأمون رجال حاشيته وأمرائه يستفسرهم عن ذلك، فأبانوا له أن وزيره الفضل بن سهل يحجب عنه الأمور ويكتم عنه الأخبار، كما رؤوا له كيف تخلص الفضل بن سهل من القائد هرثمة بن أعين في سجنه بالرغم من إخلاصه وولائه للمأمون وبشكلٍ عام بينوا له سوء الأوضاع واضطرابها بالعراق وأن الأمور تسير على نحوٍ خطير. فقرر المأمون التوجه هناك ليتفقد الأحوال[2].

ضاق أهل الكوفة ذرعاً بالاضطرابات التي عمت مدينتهم طوال عهد المأمون، فخطر على بالهم إعلان ولاءهم للمأمون عندما يصل العراق، حتى ينعموا بالاستقرار والسلام. عندما وصل المأمون للكوفة خرج وفد من أهالي الكوفة نحو بغداد، التي قدمها المأمون من مرو، وقدم هذا الوفد فروض الطاعة، وامتثلوا لأوامر المأمون فعفا عنهم وعن سائر أهل الكوفة[3].

انقضت هذه الحركة الشيعية التي اختلفت عن سائر الحركات الشيعية في العصر العباسي، ذلك لأنها استندت على بعض العباسيين الساخطين على توليه على الرضا بعد المأمون، لذلك اضطرت الشيعة لمبايعة إبراهيم بن المهدي أحد العباسيين، خليفة بدلاً عن المأمون، وأعلنت الثورة ضد والي الكوفة على الرغم من كونه أحد

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ص 142-145.

[2] نفسه.

[3] نفسه،.

أبناء البيت العلوي. وضمت الشيعة إلى صفوفها الغوغاء والمرتزقة، الذين بعثوا الرعب في قلوب الناس وعاثوا في الأرض فساداً بما قاموا به من تدمير وتخريب والكثير من الخسائر الفادحة[1].

إضافة إلى كل ما ذكر آنفاً، افتقد على بن محمد إلى المقدرات والكفاءة التي تؤهله لتولي زعامة الحركة، فقد عرف بسوء السيرة والأفعال، والظن السائد أنه حاول استغلال الظروف والاضطرابات التي كانت سائدة في الدولة آنذاك، لتحقيق الانتصار على المأمون.

أما فيما يتعلق بأبو عبد الله أخو أبي السرايا فلا شك في أنه حاول الانتقام لمقتل أخيه أبي السرايا على يد الحسن بن سهل.

أما عن إبراهيم بن المهدي فقد ظل محتجباً، منذ قدوم المأمون إلى بغداد حتى وقع في أيديه وثم اعتقاله لمدة قصيرة، إلا أن المأمون عفا عنه بعد ذلك وأطلق سراحه[2].

رابعاً: معارضة محمد بن القاسم في عهد الخليفة المعتصم:-

قامت هذه الحركة في عهد المعتصم ثامن الخلفاء العباسيين تنسب هذه الحركة إلى الشيعة الزيدية التي تعد من أكثر فرق الشيعة نشاطاً وحماساً وميلاً للجهاد، فضلاً عن اتساع نطاق تعاليمها.

تزعم هذه الحركة محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن أبي طالب، ظهر محمد بن القاسم في بلدة يقال لها الرقة والتف حوله الكثير من وجهاء الزيدية وأرسل دعاته إلى المناطق المجاورة يحث أهلها على الانضمام إليه فاستجاب لدعوته حوالي أربعون ألفاً، وبايعوه بعدها توجه محمد بن القاسم إلى قلعة حصينة ونزل بها، وتوجد هذه القلعة في منطقة تسمى "جبل حذير" قرب "مرو" بخراسان، ثم غادر منها إلى مدينة تسمى "الطالقان"، وتقع على بعد أربعين فرسخاً من مدينة مرو[3].

---

[1] الطبري: المصدر السابق، ص 128.

[2] نفسه.

[3] الطبري: المصدر السابق، ص 207 -209.

اتخذ محمد بن القاسم من مدينة الطالقان مركزاً لدعوته وبدأ يدعو إلى الرضا من آل محمد، فاجتمع إليه الكثير من الناس[1].

بلغ عبد الله بن طاهر عامل الخليفة المعتصم أمر دعوة محمد بن القاسم وتوسعها، فأرسل إليه قوات يقودها صاحب شرطته الحسين بن نوح فهزمتهم قوات محمد بن القاسم، وغضب عبد الله بن طاهر لذلك، فأرسل جيشاً آخر يقوده نوح بن حيان بن جبلة وهُزم أيضاً، وأرسل عبد الله بن طاهر قوات كثيرة، تمكن في آخر الأمر من إلحاق الهزيمة بقوات محمد بن القاسم، فانسحب نحو مدينة "نسا"، واختفى بها، بينما تفرق أنصاره في المناطق المجاورة يدعون له[2].

علم عبد الله بن طاهر بمخبأ محمد بن القاسم، فأرسل إليه قائد يسمى "إبراهيم بن غسان بن الفرح العودي" الذي تمكن من هزيمته وإلقاء القبض عليه، وسلمه إلى عبد الله بن طاهر في مدينة "نيسابور" التي كان مقيماً بها[3].

أبقى عبد الله بن طاهر محمد القاسم بقربه لمدة ثلاثة أشهر، حتى يموه أمره على الناس، وكان يجهز كل ليلة بغالاً مقببة تغادر مدينة نيسابور إلى عدة جهات، لإيهام الناس أنها تحمل ابن القاسم إلى الخليفة المعتصم. وفي إحدى الليالي خرج به إبراهيم بن غسان ليوصله إلى الخليفة المعتصم في مدينة بغداد[4].

عند وصول محمد بن القاسم إلى بغداد، أمره الخليفة المعتصم بدخول بغداد حاسر الرأس دون عمامة تغطي رأسه تحقيراً وتصغيراً من شأنه، وقد آلمه ذلك أشد الألم ودخل بغداد سنة 219هـ. ألقى الخليفة المعتصم أوامره بحبس محمد بن القاسم عند خادم أسمه مسرور فحبسه في منزله، وأمر بإرسال الطعام له، ووضعه تحت حراسة مشددة[5].

---

[1] الطبري ، المصدر السابق. ص 128

[2] الأصفهاني: المصدر السابق، ص 581.

[3] الطبري: المصدر السابق، ص 210.

[4] نفسه.

[5] الأصفهاني: المصدر السابق، ص 584.

لما جاء عيد الفطر، وانشغل الناس بالاحتفال به، وجد محمد بن القاسم الفرصة سانحة للفرار من حبسه، وذعر الخادم مسرور، عندما لم يجد محمد في مكانه، فخرج يخبر الخليفة نبأ فرار محمد من حبسه وهو يتوقع أقصى عقوبة من المعتصم إلا أن المعتصم طمأنه قائلاً "لا بأس عليك إن كان ذهب فلن يفوت، وإن ظهر أخذناه وإن آثر السلامة واستتر تركناه"[1].

اختلف المؤرخون حول مصير محمد بن القاسم، عند الطبري ذكر أنه اختفى فلم يظهر له خبر، أما الأصفهاني فقد روى عدة روايات تقول إحداها، أنه ذهب إلى واسط حيث توفى هناك، بينما في رواية أخرى أنه اختفى في عهد المعتصم وخليفته الواثق، إلا أنه أخذ أيام المتوكل، فسلم إليه وحبس إلى أن توفى، وفي روايات أخرى أنه دس له سماً في طعامه فقتله[(2)].

كانت حركة محمد بن القاسم هي آخر حركات الشيعة في العصر العباسي الأول، فقد ركن العلويين إلى الهدوء كل عهد المعتصم.

لا شك أن قوة الدولة العباسية وسيطرة المعتصم الذي عُرف بسداد الرأي والشجاعة في أمور الدولة من الأمور التي ساهمت في إفشال حركة محمد بن القاسم التي تعتبر خاتمة حركات الشيعة، لأنهم عادوا إلى هدوءهم في عصر الخليفة الواثق آخر خلفاء العصر العباسي الأول فقد ركنت الشيعة الزيدية إلى السكون بعد نهاية حركة ابن القاسم، وكانت في انتظار زعيم جديد يأخذها نحو طريق الجهاد والكفاح[(3)].

---

[1] الأصفهاني ، المصدر السابق، ص 584

[(2)] نفسه.

[(3)] نفسه.

الخاتمة والنتائج:

يمكن القول أن الإخفاق وعدم التمكن كان المصير المحتوم لجميع هذه الحركات المناهضة لحكم بني العباس. وبالرغم من تشابه المحصلة النهائية لجميع تلك الحركات، حيث كان الفشل الذريع والسريع سيد الموقف، إلا أن عوامل الفشل تباينت وتغايرت من حركة لأخرى.

1. معارضة محمد إبراهيم بن الحسن وأبي السرايا التي لم تكن موفقة تماماً على الرغم من كثرة أتباعه في بادئ الأمر، إلا أن مرضه حال دون استمراره في قيادة الحركة وتولي زمام الأمور فأوكل الأمر إلى أبي السرايا الذي لم يكن خالص النوايا كما أن رجاله عاثوا في الأرض عنفاً وبطشاً بالناس. فلم تجد حركته قبولاً لدى السواد الأعظم منهم.
2. معارضة محمد الديباج بن جعفر الصادق فقد افتقرت إلى الدقة والتنظيم وصوابية التخطيط الحربي، كما اتسعت بمحدودية الانتشار ولم تأخذ حقها من التوسع في الأقطار المختلفة. ومما زاد الأمر سوءاً اعتماد محمد بن جعفر في دعوته تلك على ابنه علي وابن عمه حسين بن الحسن بن الأفطس الذين عرفوا بين الناس بسوء السيرة والسلوك. لذلك رفضت دعوته من قبل الناس.
3. معارضة علي بن محمد بن جعفر الصادق وأبي عبد الله أخ أبي السرايا التي كانت أكثر حركات المعارضة تعقيداً لأنها ضمت بعض العباسيين الثائرين كتولية المأمون أحد أبناء البيت العلوي وهو على الرضا ولياً للعهد من بعده مما أثار حنق هؤلاء العباسيين، إضافة لعدم توحد صفوف الشيعة فيها وافتقاد علي بن محمد مقدرات وكفاءات الزعيم العلوي المؤهل واستغلال الاضطرابات السائدة في البلاد للتخلص من الخليفة المأمون.
4. معارضة محمد بن القاسم بالرغم من اتساع نطاق دعوتها إلا أن قوة الخليفة المعتصم وإحكام سيطرته على الدولة من أكثر العوامل التي سارعت في إخفاق هذه الحركة وعودة العلويين إلى الهدوء والسكون بعدها. فأشركت مع جميع حركات المعارضة بعدم التوفيق والسداد.

وفي ختام هذا البحث يمكن تبيين مدى قوة خلفاء العصر العباسي الأول وتصديهم لجميع تلك الحركات الشيعية العلوية والقضاء عليها في مهدها وتميز هؤلاء الخلفاء بسداد الرأي والشجاعة وسرعة التحرك وحسن التخطيط للقضاء على تلك الثورات، على الرغم من الاضطرابات التي كانت سائدة في الدولة آنذاك وساعد على إخماد تلك الحركات كما ذكر آنفاً افتقارها للزعيم العلوي القادر على توجيهها توجيهاً سليماً ومنظماً، واتسمت بعض الحركات المعارضة بالغوغائية والفساد وزعزعة الأمن والاستقرار الداخليين فكان عدم قبول الناس لها من جملة الأسباب الداعية لإخفاقها.

بعضاً من هذه الحركات المعارضة استغلت الأوضاع السائدة في الدولة العباسية آنذاك من اضطرابات ومشاكل داخلية خاصة في عهد الخليفة المأمون فوجدت لها ذرائع عدة لتحقيق مصالحها وأهدافها المتمثلة في الإمكان لهذه الحركات الشيعية المعارضة أن تجد طريقها إلى النجاح لو اتسمت بوحدة الصفوف والكلمة وحسن التنظيم وخلوص النوايا والشجاعة اللازمة لتحقيق مساعيها والأهم من ذلك وجود القائد العلوي القادر على تولي زمام الأمور.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

أولاً: القرآن الكريم

1. ابن الأثير محمد بن عبد الواحد بن أبي الحسن، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006م.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن محمد بن الحضرمي المغربي، العبر وديوان المبتدأ والخبر، م3، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979م.
3. ابن طباطبا محمد بن علي بن: الفخري في الآداب السلطانية/ بيروت/ 1966م.
4. ابن كثير الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية، ج9، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1990م.
5. ابن منظور أبو فضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج1، بيروت، 1955م.
6. الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين وإخلاف المصلين، القاهرة، 1950.
7. الأصفهاني على بن الحسين أبو الفرج: مقاتل الطالبيين/ دار إحياء الكتب العربية/ د.ت.
8. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، بيروت، 1988م.
9. مؤلف مجهول العيون والحدائق في أخبار الحقائق،.
10. المسعودي، أبي الحسن علي بن المحسن، التنبيه والإشراف، القاهرة، ب. ت.
11. المسعودي، أبي الحسن علي بن المحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر/ ج3/ بيروت/ 1986.
12. اليعقوبي أحمد يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي/ ج2/ القاهرة/ 1977م.

المراجــع:

1. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج3، القاهرة، 1964م.
2. أحمد أمين، فجر الإسلام، ط2، 1933م.
3. أحمد شوقي إبراهيم العمرجي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، القاهرة، 2000.
4. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي الاجتماعي (العصر العباسي الأول في الشرق ومصر والمغرب والأندلس)/ ج2/ دار الجيل/ بيروت/ 2009.
5. سميرة مختار الليثي، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، بيروت، 1976م.
6. عبد الرحمن محمد بن الحضرمي المغربي ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ أو الخبر، م3، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1979م.
7. عبد الله كامل موسى عبده، العباسيون وآبارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية.
8. العقيلي عمر سليمان ، تاريخ الدولة الأموية، ط1، الرياض، 2002م.
9. محمد الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية/ الدولة الاموية، دار الكتب العالمية، بيروت، 1998م.
10. محمد الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية – دار إحياء الكتب العربية بمصر، 1920م.
11. محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكري الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1976م.
12. محمود محمد مزروعة، تاريخ الفرق الإسلامية، القاهرة، 1991م.
13. الموسوعة العربية العالمية – الإسماعيلية، ط1، م2، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 1996م.

المعاجم والموسوعات

14. إبراهيم مدكور وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ط2، دار المعارف، د.ت.
15. الموسوعة العربية العالمية – الإمامية الأثنى عشرية، ط1، م2، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية،، 1996م.
16. الموسوعة العربية العالمية – الدولة العباسية – ط1، م16، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996م.
17. الموسوعة العربية العالمية – الزيدية، ط1، م11، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية،، 1996م، 690 691.
18. الموسوعة العربية العالمية – الشيعة – ط1، م2/ الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، 1996م.
19. الموسوعة العربية العالمية – موقعة الجمل، ط1، م8، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية،، 1996م.
20. الموسوعة العربية العالمية – موقعة كربلاء، ط1، م19، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية،، 1996م.